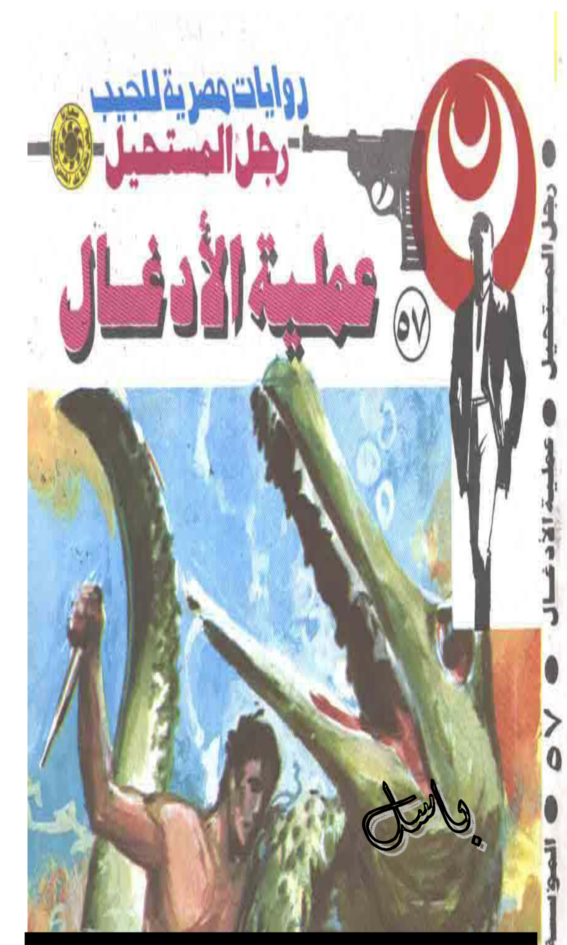




رجل المستحيل ● عملية الأدغال ● ٥٧ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٥٧

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

عملية الأدغال

- لماذا اضطرّ (أدهم) و (منى) إلى اجتياز أدغال (الكونغو) القاتلة ؟
- ما سر ذلك الفرنسي المغامر ، الذي أقام حصنًا وسط الأدغال ؟
- تُرى .. أينجح (أدهم) ورفيقه في محاربة قبائل (الومبيزي) المتوحشة ؟ أم تبتلعهم عملية الأدغال ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل)



العدد القادم : إعدام بطل

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ الأحراش ..

صعد (أدهم) فى درجات سلم مبنى المخابرات العامة المصرية فى نشاط ، وتألّقت فوق شفتيه ابتسامة هادئة جذّابة ، وهو يتبادل التحيَّة مع كل من يلتقى به من رجال المخابرات وموظفى الإدارة ، وعبر ذلك الممر الطويل فى الطابق الثانى من المبنى بخطوات واسعة ، حتى توقَّف أمام باب حجرة مدير المخابرات ، وطرقه فى هدوء ، وانتظر حتى سمع صوته يدعوه للدخول ، فدفع الباب فى رفق ، ودلف إلى مكتب المدير ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ صباح الخير يا سيِّدى .. (ن ــ ١) فى خدمتك .

ابتسم مدير المخابرات وهو يقول :

ــ صباح الخير يا (أدهم) .. اجلس ، فلدىّ هنا مهمة تحتاج إلى نشاطك الجم .

جلس (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ كلّى آذان صاغية يا سيِّدى .

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم قال فى اهتمام :

ــ هل تحب قضاء إجازة فى أدغال (الكونغو) يا (ن ــ ١) ؟

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ــ إجازة عمل ؟!

مطَّ مدير المخابرات شفتيه ، وهو يقول :

ــ بالطبع يا (ن ــ ١) .

ثم مال نحوه مستطردًا :

ــ الأمر عاجل وخطير يا (ن ــ ١) ، فهو يتعلَّق بالاقتصاد المصرى كله .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم فى قلق :

ــ يا إلهى !!

نهض مدير المخابرات من خلف مكتبه ، ولوَّح بذراعه وهو يقول :

ــ أحبطت أجهزة الأمن عندنا ، فى الشهور الثلاثة الأخيرة ، أكثر من خمس محاولات لتهريب كميات ضخمة من الذهب إلى البلاد ، وعلى الرغم من ذلك ، يؤكد رجال الأمن أن كميات أكبر قد نجحت فى الدخول إلى الأسواق ، عن طريق مجموعة من المهربين الدَّوليِّين ، مما يؤدِّى إلى حالة من التضخُّم

المالى ، تتسبَّب بالضرورة فى اضطراب النظام الاقتصادىّ ، بل قد تؤدِّى مع استمرارها إلى انهياره وتحطيمه ، وهذا يعنى انهيار الدَّولة كلها ، وهو أمرٌ نحيا ونعمل لمنع حدوثه يا (ن ــ ١) .

شمل الاهتمام (أدهم) من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يقول فى انفعال .

ــ وكيف يمكن منع حدوث ذلك يا سيِّدى ؟

تنهَّد مدير المخابرات وهو يقول :

ــ إننا نبذل أقصى جهدنا لمنع دخول ذلك الذهب المهرَّب إلى البلاد يا (ن ــ ١) ، ولكن هذا وحده لا يكفى ، فحدودنا شاسعة كبيرة ، وأساليب هؤلاء المهربين متنوعة متعدِّدة ، ولن يتمَّ حسم هذا الأمر إلَّا بالقضاء عليه من مصدره .

ومطَّ شفتيه وهو يستطرد :

ــ ولقد قمنا بتحريات واسعة مكثَّفة ، توصلنا من خلالها إلى تحديد الرأس المدبِّر ، وزعيم عصابة المهرِّبين هذه ، ولكن ذلك وضعنا فى حيْرة أكبر ، فهذا الزعيم فرنسى مغامر ، يقيم فى (الكونغو) منذ عشر سنوات ، وله ثقل كبير هناك ، ويحوز ثقة السلطات بدرجة مدهشة ، حتى أنه من المستحيل إقناع

السلطات هناك بإلقاء القبض عليه ، دون دليل قوىّ ، ثم إن التخلص منه ليس بالأمر السهل ، فلقد اختار لإقامته حصنًا قويًا وسط أدغال (الكونغو) ، لا يغادره إلا للضرورة القصوى ، وبصورة سرّيّة للغاية ، ومفاجئة ، بحيث يستحيل تحديد ذلك ، والوصول إلى حصنه نفسه مستحيل ، فهو محاط بأحراش وغابات كثيفة ، تزخر بالوحوش الكاسرة والحيوانات المفترسة ، والطريقة الوحيدة للذهاب إليه أو مغادرته هى الهليوكوبتر ، وهو يحتاط لذلك أيضًا ، فيمتلك جهاز رادار قوىّ ، وأسلحة مضادة للطائرات .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

ـ ألا يمتلك بعض الدبابات والمدرَّعات ؟

هزَّ المدير رأسه فى هدوء ، وقال :

ـ نعم يا (ن ـ ١) ، ولكنه يمتلك جيشًا من المرتزقة المسلَّحين ، ينفق عليهم فى سخاء ، ويدرِّبهم على قتل كل من يحاول التسلُّل إليه بلا رحمة .

مطَّ (أدهم) شفتيه وهو يقول فى هدوء :

ـ ما من جهاز أمن بالغ الإحكام يا سيِّدى .

أجابه مدير المخابرات فى هدوء :

ـ هذا صحيح يا (ن ـ ١) ، فكل نظم الأمن ، مهما بلغت درجة إحكامها ، تحوى بالضرورة ثغرة ما ، ولكن هذه الثغرة تكون دائمًا عسيرة ، بالغة الضيق ، حتى أنها تحتاج إلى رجل على شاكلتك لعبورها .

ثم التقط من فوق مكتبه خريطة جغرافية ، فردها أمام عينى (أدهم) ، وأشار إليها بسبابته ، وهو يستطرد :

ـ لقد أقام ذلك الفرنسى (چان بول) حصنه وسط الأدغال ، الواقعة بين مدينة (كيسنجانى) ، وبحيرة (إدوارد) والثغرة الوحيدة للوصول إليه هى عبور جزء من نهر (الكونغو) ، حتى شلالات (ستانلى) ، ثم اجتياز عشرة كيلومترات فى أكثر أدغال العالم وحشية ، ومحاولة عبور ثلاثة كيلومترات أخرى من الأحراش .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول متهكِّمًا :

ـ وهل تسمِّى هذا ثغرة يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، على الرغم من خطورة الموقف ، وهو يقول :

ـ ألم أقل لك إن هذه الثغرة تحتاج إلى رجل مثلك يا (ن ـ ١) ؟

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) فى هدوء :

ـ إننى أتوق لرحلة فى الأدغال منذ زمن طويل يا سيِّدى .

لم يستطع مدير المخابرات منع ابتسامة الإعجاب ، التى ملأت شفتيه ، وهو يقول :

ـ وستبدأ رحلتك صباح الغد يا (ن ـ ١) ، وليوفقك الله (سبحانه وتعالى) .

نهض (أدهم) وهو يقول فى هدوء :

ـ بل قل ستبدأ رحلة الصيد فى الأدغال يا سيِّدى .. صيد (چان بول) .

* * *



٢ ـ رحلة سينمائية ..

نقر مدير مكتب التصاريح السياحية فى (كيسنجانى) بأصابعه على سطح مكتبه ، وهو يتأمَّل الرجل والفتاة ، الواقفين أمامه فى هدوء ، ويتفرَّس فى ملامحهما فى اهتمام ، وقد أثار اهتمامه ذلك العدد من آلات التصوير السينمائى الذى يحملانه ، ثم قال فى لهجة أرادها بالغة الهدوء ، وبلغة فرنسية تحمل لكنة عجيبة :

ـ إذن فأنت تريد المخاطرة بتصوير الحياة الطبيعية لحيوانات (الكونغو) المفترسة ، حول بحيرة (إدوارد) يا مسيو (أمجد صبرى) .

أجابه (أدهم) فى حماس مفتعل :

ـ سيكون ذلك رائعًا ، وأنا واثق من أن فيلمى المرتقب سيدرّ علىّ ثروة باهظة .

حدجه المدير بنظرة متشككة ، إلا أنه حافظ على هدوء لهجته ، وهو يقول :

— وهل من الحكمة أن تصحب زوجتك فى مثل هذه المهمة البالغة الخطورة ؟

أجابته (منى) فى هدوء :

— لقد اعتدت ذلك يا سيّدى ، فلقد شاركت زوجى تصوير بعض الأفلام المماثلة فى غابات (إندونيسيا) ، و (الهند) ، و (البرازيل) .

اعتدل المدير ، وهو يسأل (أدهم) فى حدّة مفاجئة :

— وهل تدرك ما ينتظرك فى هذه الرحلة يا ترى ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :

— إذا كنت تقصد الحيوانات المفترسة فأنا لا أخشاها يا سيّدى ، فلقد اعتدت — بحكم عملى — التعايش معها ، ثم إن سيارتى معدّة لصد محاولاتها لافتراسنا .

لوّح المدير بذراعه ، وهو يقول فى عصبية :

— ولكنك فى هذه المرّة ستواجه ما لم تتخيّله فى (إندونيسيا) و (الهند) و (البرازيل) يا مسيو (أمجد) ، فنهر (الكونغو) فى تلك الأنحاء يغصّ بتماسيح (الكايمان) المفترسة ، الشديدة القوة والوحشية ، والغابات حول شلالات (ستانلى) تموج بأشرس الحيوانات المفترسة ، وهى شديدة الكثافة والوعورة ،

ثم إن هناك قبائل (الوميزى) البدائية ، التى يحلو لمقاتليها الأشداء تزيين أكواخهم برءوس أعدائهم ، والمتطفّلين عليهم .

مطّ (أدهم) شفتيه ، وهو يقول فى هدوء :

— سأحاول تحاشيهم يا سيّدى .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يتأمّل (أدهم) و (منى) فى حدّة ، ولكن ملامحه لم تلبث أن لانت فجأة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يقول فى هدوء :

— حسنًا يا مسيو (أمجد) .. سأمنحك وزوجتك التصريح اللازم ، ولكن .....

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

— ولكن ماذا يا سيّدى ؟

التقط المدير من أمامه ورقة بيضاء ، وضعها أمام (أدهم) ، قائلًا :

— سأحصل على تعهد منك بأنك تعلم مدى ما ينتظرك من مخاطر ، وبأننا غير مسئولين عمّا يمكن أن يصيبك ، حتى القتل بواسطة الحيوانات المفترسة .

تناول (أدهم) قلمًا ، وكتب ما أراده المدير فى هدوء ، وناوله الورقة ، فطالعها المدير فى اهتمام ، ثم ابتسم ، قائلًا :

— فى هذه الحالة يمكننى منحكما التصريح اللازم .

ثم ذيّل التصريح بتوقيعه ، وناوله لـ (أدهم) وهو يبتسم قائلًا :

— رحلة موفّقة .

تناول (أدهم) التصريح فى هدوء ، ودسّه فى جيبه ، وهو يقول :

— شكرًا يا سيّدى .. سنهدى إليك نسخة من فيلمنا بإذن الله .

تابعهما المدير ببصره حتى غادرا مكتبه ، ثم عاد يلتقط التعهد الذى كتبه (أدهم) ، وقرأه مرة ثانية ، ثم ابتسم فى شراسة مغمغمًا :

— لقد وقّعت شهادة وفاتك أيها المغرور .

ثم نهض إلى جهاز لاسلكى فى ركن مكتبه ، وأدار مؤشره لحظة ، ثم أمسك سمّاعته ، وقال وهو يبتسم فى سخرية :

— مسيو (چان بول) .. لدىّ هنا معلومة ستثير اهتمامك للغاية ..

* * *

وضع (چان بول) سمّاعة جهاز اللاسلكى ، بعد أن

انتهى حديثه مع المدير ، ونهض يدور فى حجرته الأنيقة بقامته الفارهة ، وجسده المفتول العضلات ، وهو يرتدى قميصًا فضفاضًا من الحرير المنقوش بألوان زاهية ، وسروالًا قصيرًا يصل إلى منتصف فخذيه ، وقد تمنطق بحزام جلدىّ مزركش ، ينتهى فى جانبه الأيمن بمسدّس ضخم من ذلك النوع الذى يستخدم لصيد الوحوش ، وقد انعقد حاجباه فوق عينيه الزرقاوين ، وأخذ يداعب شعره الأشقر الذهبى الناعم ، ووجهه الحليق يبدو أشد قساوة من ذى قبل ، ثم صاح فى صوت حانق :

— (مارسيل) .

دخل إلى حجرته — إثر ندائه — شاب مفتول العضلات ، أسود الشعر ، يحيط وجهه شارب كث ، ولحية ضخمة ، وقال فى هدوء :

— ماذا تريد يا مسيو (چان بول) ؟

ازداد انعقاد حاجبى (چان بول) ، وهو يقول :

— يبدو أننا ننتظر زيارة بعض الفضوليين يا (مارسيل) .

لم يبد أى أثر للدهشة فى ملامح (مارسيل) ، وهو يقول :

— كيف يا مسيو (چان) ؟

لوَّح (چان) بذراعه ، وهو يقول :

ــ هناك مصوِّر سينمائى زائف وزوجته ، أصرَّا على الحصول على تصريح باجتياز الأدغال ، فى طريقهما إلى هنا ، بحجة تصوير بعض الوحوش المفترسة حول بحيرة (إدوارد) .

قال (مارسيل) فى برود :

ــ وكيف تثق فى أنهما زائفان ؟

مطَّ (چان) شفتيه ، وقال فى جدَّة :

ــ ليس من المنطقى أن يختارا هذا المسار الطويل ، من (كيسنجانى) إلى بحيرة (إدوارد) ، إلا إذا كانا يريدان عبور المنطقة بالذات .

غمغم (مارسيل) فى هدوء :

ــ ربَّما كانا يهويان المخاطرة يا مسيو (چان) .

عاد (چان) يلوِّح بذراعه فى سخط ، وهو يقول :

ــ أنا لا أشاركهما هوايتهما هذه يا (مارسيل) ، فأنا أكره المخاطرة ، وأكره ذلك الشعور بالشك .

لم يحاول (مارسيل) مناقشته طويلًا ، بل طرق الهدف مباشرة ، قائلًا :

ــ هل تحبّ أن نتخلَّص منهما يا مسيو (چان) ؟

حدجه (چان) بنظرة طويلة ، ثم التفت إلى خريطة كبيرة تزيِّن حائط حجرته ، وأشار إليها قائلًا :

ــ ليس فورًا يا (مارسيل) .. سنتركهما يواجهان تماسيح (الكايمان) أولًا ، وأحراش منطقة شلالات (ستانلى) ، و (الومبيزى) ، فإذا ما بلغ حظهما درجة النجاح فى اجتياز كل هذا ، فسنعمل على التخلُّص منهما فور عبورهما منطقة (الومبيزى) ، وسنطعم وحوش (الكونغو) بجثتيهما .

تألَّقت عينا (مارسيل) فى جذل وحشى ، وهو يقول :

ــ نعم يا مسيو (چان) .. إننى أحب هذا الأسلوب .. أحبه جدًّا .

* * *

أوقف (أدهم) تلك السيارة الضخمة ، التى احتشدت بآلات التصوير السينمائى ، فى منطقة موحشة من الأدغال ، وقال لـ (منى) فى هدوء :

ــ سنترك السيارة هنا يا (منى) ، وسنعود إليها بعد انتهاء مهمتنا بإذن الله .

عقدت حاجبيها ، وهى تغمغم فى توتُّر :

ــ هذا ما إذا ما قدِّر لنا العودة .

ثم هتفت فى حَنَق :

ــ ولكن لماذا تصرّ على اجتيازنا تلك الأدغال على قدمينا ؟

هزَّ كتفيه وهو يقول فى هدوء :

ــ لأن المنطقة التى نريد الوصول إليها متشابكة الأغصان ، يستحيل عبورها بمثل هذه السيارة ، ثم إنه ليس من المفضَّل أن نثير سكان الأدغال كلهم بصوت محرِّك سيارة ، سيبدو مثل صرخة قوية فى عالم من السكون ، وسط هذا المجتمع البدائى .

هبطت من السيارة ، وهى تبتسم فى شحوب ، قائلةً :

ــ لك دائمًا منطق مقنع .

التقط (أدهم) آلة تصوير سينمائية كبيرة ، وأخذ يحلها فى اهتمام بالغ ، حتى قسمها نصفين ، والتقط من التجويف الواضح فى داخلها مسدَّسين ، ناول أحدهما إلى (منى) ودسَّ الآخر فى حزامه ، ثم التقط خنجرًا كبيرًا ، وضعه داخل جراب خاص ، مثبَّت فى عنق حذائه الجلدىّ الطويل ، وهو يقول :

ــ هذان المسدَّسان مزوَّدان بكاتمى صوت يا (منى) ،

ولكننى أرجو ألا نستخدمهما إلا للضرورة القصوى ، وسنحمل معنا قاربًا مطاطيًّا بلا محرِّك لاجتياز النهر .

أومأت إليه برأسها موافقة ، فى حين التقط هو آلة تصوير أخرى صغيرة ، علَّقها فى كتفه ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ والآن تبدأ رحلتنا يا عزيزتى ..

سارت إلى جواره ، وهى تغمغم فى توتُّر ساخر :

ــ رحلتنا ؟!.. يا له من مصطلح !!

ثم عادت تتبعه فى صمت ..

* * *

لم يكن اختراق تلك الأدغال الكثيفة بالأمر الهيِّن ، فالأغصان متشابكة ، متعانقة ، تمتلئ بالأشواك الحادَّة ، والأعشاب تمتلئ بمختلف أنواع الهوامّ والحشرات ، ورائحة الثمار العطنة تزكم الأنوف ، إلا أن (أدهم) ظلَّ يشق طريقه فى صبر وأناة ، و (منى) تتبعه فى إرهاق ، دون أن تشكو أو تعترض ، وهى تعبر المناطق التى مهَّدها أمامها (أدهم) ، وإن لم يمنع هذا بعض الأشواك الحادَّة من خدش بشرتها ، أو تمزيق أجزاء صغيرة من قميصها أو سروالها ، وهى تحتمل كل هذا حتى يصلا إلى النهر ، ويبدأا فى عبوره إلى شلالات (ستانلى) ، وبدا لها الوقت بطيئًا ثقيلًا ، وهى تسير على بعد

ثلاثة أمتار من (أدهم) ، الذى لم يلتفت إليها مرَّة واحدة طيلة الوقت ، منذ غادرا السيارة ..

وفجأة التفَّ حول جسدها جسم أسطوانى غليظ دافئ ، وأحاط بها فى قوة احتبست لها صرخة رعب فى حلقها ، وشلّ حركة ذراعيها فى سرعة ، وهو يعتصر جسدها الضئيل بلا رحمة .

وحاولت أن تصرخ مستنجدة بـ (أدهم) ، وهى تتطلّع إليه بعينين جاحظتين من شدة الرعب ، وهو يواصل شق طريقه فى همة ، ولكن ذلك الضغط الهائل الذى شعرت به حول صدرها وجسدها ، أصاب حنجرتها بالشلل ، ووصل رعبها وألمها إلى ذروتهما ، حينما التفَّت نهاية الجسم الأسطوانى حولها ، وارتفعت مقدّمته ، لتجد (منى) نفسها وجهًا لوجه أمام ذلك الرأس الضخم لثعبان (البوا) ، وقد فتح فكّيه عن آخرهما وبرز لسانه المشقوق المخيف ، وسط زوج من الأنياب الحادّة ، وهو يهم بالتهام رأسها[*] ، وعيناه الباردتان تحدقان فى عينيها ..

ورأت (منى) فى عينى (البوا) الموت ..

* * *

(*) ثعبان (البوا) : أضخم الثعابين على وجه الأرض ، وهو غير سام ، ولكنه يعتمد على قوته الرهيبة لاعتصار ضحاياه ، وابتلاعهم ، ويبلغ طوله فى المتوسط تسعة أمتار ، ويمكنه ابتلاع حمار وحشى كامل بالغ .



ولكن ذلك الضغط الهائل الذى شعرت به حول صدرها وجسدها ، أصاب حنجرتها بالشلل ووصل رعبها وألمها إلى ذروتهما ..

٣ ــ مواجهة الخطر ..

أشعل (مارسيل) سيجارة نفّاذة الرائحة ، وهو يشير إلى إحدى الطائرات الهليوكوبتر الثلاث ، القابعة فى مهبطها الخاص ، داخل حصن (چان بول) ، قائلًا لاثنين من رجاله :

ــ إننى لن أنتظر حتى ينجح الغريبان فى الوصول إلى هنا ، سأحاول التخلُّص منهما رأفة بهما ، قبل أن تلتهمهما الوحوش المفترسة ، وعليكما أن تستقلَّا الهليوكوبتر ، وتفحصا منطقة النهر ، ولا أريد أية أخطاء .

قال أحد الرجلين فى استهتار :

ــ هل نطلق عليهما النار فور رؤيتهما ؟

هزَّ (مارسيل) كتفيه ، وهو يقول فى سخرية :

ــ وهل تتصوَّر أننى أرسلكما لتسليمهما باقة من الزهور ؟

تبادل الرجلان نظرة مرحة ، تفيض بالشراسة ، ثم قال أحدهما وهو يربِّت على مدفعه الرشاش فى حماس :

ــ لا بالطبع يا مسيو (مارسيل) .. فلندَّخر باقة الزهور لنضعها على قبريهما .

أطلق (مارسيل) ضحكة وحشية ، وهو يقول :

ــ سيكون ذلك بالغ الصعوبة يا رجل ، فربما توزَّع قبراهما فى بطون أسود الغابة وتماسيحها .

ابتسم الرجلان فى ثقة ، ثم اتجها فى صمت إلى الهليوكوبتر ، فى حين غمغم (مارسيل) فى تهكُّم ، وهو ينفث سيجارته ذات الرائحة النفَّاذة :

ــ لن تكتمل رحلتكما السينمائية للأسف أيها المصريَّان .

* * *

كان (أدهم) يشق طريقه وسط الأغصان المتشابكة فى اهتمام ، مطمئنًّا إلى أن (منى) تتبعه ، ولكن شيئًا ما جعله يتوقَّف فجأة ، ويلتفت إلى الخلف فى حِدَّة .

لا يمكننا مهما بحثنا أن نعرف كنه هذا الشىء ، فـ (منى) لم تصرخ ، ولم تتفوَّه بكلمة أو حرف واحد ، حينما باغتها ثعبان (البوا) بهجومه ، ولقد كان الهجوم سريعًا ، حذرًا كعادة الثعابين ، حتى أنه لم يترك أثرًا .

ولكن (أدهم) شعر به .

ربما كان حدسًا .. أو غريزة نمت مع معايشة الخطر ، ومجابهة الموت ..

أو هو نداء قلب ..

لعله هذا أو ذاك .. لا أحد يدرى .. المهم أن (أدهم) قد التفت فجأة ، ورأى ثعبان (البوا) وهو يعتصر جسد (منى) ، ويهمّ بالتهامها .

ولم يستغرق (أدهم) أكثر من نصف الثانية ، ليفكّر ، ويقرّر ، وينفّذ .

لقد ألقى آلة التصوير السينمائية الصغيرة ، والقارب المطاطىّ عن كتفيه ، واستلّ خنجره الضخم من غمده ، واندفع كالصاروخ نحو ثعبان (البوا) الضخم ، وبقفزة واحدة تعلّق فى عنقه ، وجذب رأسه بعيدًا عن رأس (منى) ..

وأراد الثعبان المفترس الضخم أن يلتفت لمواجهة خصمه ، ولكن ذلك الخصم أحاط عنقه بذراع فولاذية ، وهوى بخنجره على رأسه ، وغاص بنصله فى مخ الثعبان .

وانتفض جسد أضخم ثعابين الأرض ، وتشنّج لسانه المشقوق فى قوّة ، ثم تراخى الجسد ، وسكن تمامًا .

وأسرع (أدهم) ينتزع زميلته من الجسد الأسطوانى الضخم الملتفّ حولها ، وهاله ذلك الجحوظ الشديد فى عينيها ، والشحوب الهائل فى بشرتها ، فهتف بها فى جزع :

ــ (منى) .. هل أنت بخير ؟

مضت لحظة وهى تحدّق فى وجهه بذهول وشرود ، قبل أن تنفجر بالبكاء ، وتعود الدماء إلى بشرتها الوردية ، فربَّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ــ لقد انتهى كل شىء يا عزيزتى .. لقد زال الخطر .

وتركها تجهش بالبكاء بعض الوقت ، حتى هدأ روعها ، وجفّفت دموعها ، وهى تقول فى امتنان :

ــ لقد كان موقفًا بشعًا ، ولكنك أنقذت حياتى يا (أدهم) .

ضحك وهو يقول فى مرح :

ــ لا عليك يا عزيزتى .. لقد اعتدت ذلك ، فعلى الرغم من المتاعب التى تسببينها لى دائمًا ، إلا أننى أكره أن أفقدك .

ابتسمت فى خجل وسعادة ، وهى تغمغم :

ــ أنا أيضًا أكره أن أفارقك يا (أدهم) .

ارتفع حاجباه لحظة فى حنان ، ثم لم يلبث أن عاد يهتف فى مرح :

ــ هل نواصل رحلتنا ؟

نهضت وهى تقول فى حماس :

ــ هيّا بنا .. لا أعتقد أننا سنواجه أبشع مما واجهت منذ لحظات .

ولكنها كانت مخطئة ...

* * *

برز نهر (الكونغو) أخيرًا ، بعد ساعتين من التوغّل فى الأدغال ، وتنهّدت (منى) فى ارتياح ، وهى تقول :

ــ يا إلهى !! .. ظننت أننا لن نبلغه أبدًا .

أوصل (أدهم) أسطوانة الهواء المضغوط بالزورق المطاطى ، وهو يقول :

ــ المهم أن ننجح فى اجتيازه يا (منى) ، فسيكون علينا أن نسبح فيه عكس التيار ، وهو يزداد ضيقًا كلما أوغلنا فيه ، فى اتجاه شلالات (ستانلى) ، ويمتلئ بتماسيح (الكايمان) المفترسة ، ولكنه الطريق الوحيد الذى يمكّننا من الوصول إلى حصن (چان بول) ، دون أن نلقى بأنفسنا بين يدى قبائل (الوميبزى) .

ارتفع صوت ذلك الفحيح المكتوم ، المنبعث من أسطوانة الهواء المضغوط الصغيرة ، وهى تملأ الزورق المطاطىّ بالهواء ، فى حين ابتسمت (منى) وهى تقول :

ــ لا تحاول أن تثير مخاوفى ، فلقد اعتدت مواجهة المخاطر ما دمت بصحبتك .

ابتسم وهو يفصل أسطوانة الهواء المضغوط ، ويضع الزورق على سطح النهر ، قائلًا :

ــ هيّا بنا .. فلقد حانت لحظة الخطر الحقيقى ..

قفزت (منى) إلى الزورق ، وبدأ (أدهم) يستخدم مجدافه فى دفع الزورق إلى عرض النهر ، وعاونته (منى) بالمجداف الآخر فى صمت ، وقد تركّز ذهنها كله فى عبارة (أدهم) الأخيرة ..

لقد حانت لحظة الخطر الحقيقى ..

* * *

مرّت ساعة بطيئة ، وهما يسبحان بزورقهما فى عرض النهر ، الذى بدأ يضيق بالفعل كلما تقدّما فيه ، حتى شعرت (منى) بالتعب ، فغمغمت فى إرهاق :

ــ ألا يمكننى أن أحصل على قدر من الراحة ؟

توقّف (أدهم) عن التجديف ، وهو يقول :

ــ يمكنك بالطبع يا عزيزتى ، فهذا أفضل من الشعور بالتعب قرب شلالات (ستانلى) .

تنهّدت فى إرهاق وهى تضع مجدافها داخل الزورق المطاطىّ ، ومدّت أناملها تداعب سطح الماء ، وهى تغمغم فى استرخاء :

— عجبًا !! .. الماء يبدو رائقًا صافيًا ، على الرغم من .....

قاطعها (أدهم) وهو يهتف فجأة فى صرامة :

— أخرجى يدك من الماء .

انتزعت (منى) يدها من الماء فى جزع ، وهى تهتف :

— ماذا حدث ؟

أشار إلى حافة النهر وهو يقول فى حِدّة :

— إننا لا نتنزه فى نيل القاهرة يا (منى) ، من الخطر هنا أن يضع المرء جزءًا من جسده فى الماء .

التفتت (منى) إلى حيث أشار ، وخُيّل إليها لحظة أن حافّة النهر تمتلئ بالعشرات من جذوع الأشجار الملقاة فى إهمال ، ولكنها لم تلبث أن تبيّنت من حركة هذه الجذوع غير الطبيعية ، أنها لم تكن إلا عشرات من تماسيح (الكايمان) ، التى ترقد فى انتظار ضحاياها ، فاتسعت عيناها فى ذعر ، وهتفت :

— يا للبشاعة !!

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— وكنت ستقدمين لهم وجبة دسمة يا عزيزتى .

ابتسمت (منى) ابتسامة شاحبة ، وهى تغمغم :



التفتت (منى) إلى حيث أشار ، وخُيّل إليها لحظة أن حافة النهر تمتلئ بالعشرات من جذوع الأشجار الملقاة فى إهمال ..

— ليست دسمة إلى هذا الحد .

ضحك وهو يقول :

— من حسن الحظ أن صديقنا (قدرى) لا يرافقنا فى هذه الرحلة ، وإلا فما استطاعت التماسيح إيقاف لعابها لرؤية جسده الضخم ..

ضحكت (منى) ، وكادت تنطق بكلمة ما ، لولا أن تبدّلت ملامح (أدهم) فجأة ، وتجهّمت ، وهو يشير إليها قائلًا فى حِدّة :

— هل تسمعين ؟

أرهفت (منى) سمعها فى قلق ، وخُيّل إليها أنها تسمع صوت محرّك يقترب ، وقبل أن تسأل (أدهم) عمّا يعنيه ذلك ، ارتفعت هليوكوبتر (جان بول) فجأة فوق الزورق المطاطىّ ، وهتف قائدها فى حماس :

— لقد عثرنا عليهما .. عد يا (چاك) .. سنطعم جثتيهما تماسيح النهر ..

وانقضت الهليوكوبتر ..

* * *

٤ — أنياب التماسيح ..

لم ينتظر (أدهم) كثيرًا ليتأكّد من نوايا راكبى الهليوكوبتر ، فهو لم يكد يلمح فوّهة المدفع الرّشاش تطلّ من نافذتها ، حتى التقط مسدّسه فى سرعة مذهلة ، وأطلق النار ..

وفوجئ (فرانسوا) ، الذى كان يمسك المدفع الرّشاش ، بالرصاصة تصيب مدفعه ، وتنتزعه من قبضته انتزاعًا ، ليسقط منه فى أعماق النهر ، فعاد إلى مقعده فى ذعر ، وهو يهتف فى سخط :

— يا للشيطان !!.. هذا الرجل محترف .. محترف ولا شك .. لقد أصاب مدفعى برصاصة واحدة .. أمطرهما بمدفع الهليوكوبتر يا (چاك) .

ولم يكن (چاك) ينتظر ذلك الأمر ، فلقد شعر بخطورة (أدهم) منذ الطلقة الأولى ، وضغطت يده فى قوة على زر الإطلاق ، المثبت أعلى عصا القيادة ، وانهمرت رصاصاته على الزورق المطاطىّ ..

ولم يلتفت (أدهم) إلى الرصاصات التى أصابت الزورق ، ولا إلى صرخة (منى) ، حينما غاص الزورق المثقوب فى مياه النهر بسرعة ، وإنما صوّب مسدّسه إلى (فرانسوا) ، الذى أطلّ برأسه من الهليوكوبتر ، وأطلق النار ..

واخترقت رصاصته رأس (فرانسوا) ، الذى جحظت عيناه ، وسقط من الهليوكوبتر كالحجر ، وارتطم بمياه نهر (الكونغو) ، فى اللحظة نفسها التى غاص فيها زورق (أدهم) و (منى) تمامًا ..

وهتف (چاك) بدوره :

ـــ يا للشيطان !!..

ثم أدار الهليوكوبتر فى مناورة حادّة ، واندفع بها بعيدًا ، فى حين التفت (أدهم) إلى (منى) ، وسألها فى اهتمام :

ـــ هل أصابتك رصاصات هذا الوغد ؟

جاءه صوتها مفعمًا بالرعب ، وهى تقول :

ـــ لا .. ولكن هناك ما هو أخطر من الرصاصات .

التفت (أدهم) إلى حيث تنظر رفيقته فى رعب ، وتذكّر فورًا تماسيح (الكايمان) ، فقد كانت تسبح نحوهما بالعشرات .

* * *

كان الموقف مخيفًا ، جديرًا أن يثير الرعب فى قلوب أشدّ الرجال بأسًا وشجاعةً ، إلّا أنّ (أدهم) ظلّ متمالكًا جأشه ، وهو يقول لـ (منى) فى هدوء :

ـــ لا يرهبنّك أمر هذه الحيوانات البشعة يا (منى) .. أطلقى النار على رءوسها .

أتاه صوتها مرتجفًا ، وهى تقول :

ـــ لقد فقدت مسدّسى .. كنت أضعه إلى جوارى حينما غرق الزورق .

ناولها مسدّسه فى سرعة ، واستلّ خنجره ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ هاك مسدّسى .. هيّا .. أطلقى النار بسرعة .

كانت تماسيح (الكايمان) تقترب منهما فى سرعة ، وتشقّ النهر كزوارق بحارية طويلة ، وعيونها الضخمة تبرز فوق السطح حاملةً الموت والهلاك ، ولكن (منى) صوّبت مسدس (أدهم) بين العيون ، وأطلقت النار ، فى حين ملأ (أدهم) صدره بالهواء ، وغاص وسط تماسيح (الكايمان) المفترسة ، وهو يقبض على خنجره فى قوة ..

وفوجئت تماسيح (الكايمان) بأنها ليست أكثر تماسيح

العالم وحشيةً وقوّة ، على الرغم من فكوكها القوية ، وأنيابها الحادّة الطويلة ..

لقد انقضّ (أدهم) على أول التماسيح فى شجاعة مذهلة ، وغاص أسفله فى براعة لا يضاهيه فيها إلّا ثعبان البحر الماكر ، ثم عاد يرتفع فى سرعة ، ويشق بطنه بخنجره الحادّ ، ويعود ليغوص بعيدًا ، متلافيًا تلاطمات ذيل التمساح القوىّ بالماء ، وهو يلفظ أنفاسه ..

كان صراعًا مذهلًا بين وحوش النهر ، وعمالقة البشر ..

كانت (منى) تحافظ على اتزانها فى مياه النهر العميقة فى صعوبة ، وهى تطلق النار على رءوس التماسيح فى توتّر ، و (أدهم) يصارعها بخنجره تحت الماء ..

واصطبغت مياه النهر بدماء التماسيح ، وانقضت البقية منها على رفاقها الصرعى تلتهمها فى شراسة ، كأنما قرّرت الاكتفاء بها بدلًا من (أدهم) و (منى) (*) ، فى نفس اللحظة التى نفدت فيها رصاصات الأخيرة ..

(*) تجذب رائحة الدماء التماسيح ، تمامًا كما تفعل مع أسماك القرش ، وإذا ما أصيب أحدها ، فإن الآخرين يهرعون لالتهامه ، دون النظر إلى وحدة الجنس .

إلّا تمساحًا واحدًا ..

كان أكبر التماسيح حجمًا ، وأكثرها ضخامةً ، حتى ليبدو كأنه زعيمها ..

وَكان يفضّل لحم البشر ..

ولقد شق طريقه فى مياه النهر فى سكون وحذر ، نحو (منى) التى أولته ظهرها ، وعيناه الضخمتان تعلوان السطح ، وتلتهمان (منى) بنظراتهما الباردة ..

وفجأة شعرت (منى) بالتمساح الذى يتسلّل خلفها ، واستدارت إليه فى رعب ، ورأته يفتح فكيه المخيفين عن آخرهما ، وتسللت إلى أنفها رائحته العجيبة ، التى شلّت أطرافها ، وهى تحدّق فى صفّى الأنياب الحادّة اللامعة ..

وانقضّ عليها زعيم تماسيح (الكايمان) ..

* * *

عقد (چان بول) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول فى مزيج من الدهشة والعصبية :

ـــ قتل (چاك) برصاصة واحدة ؟!.. وتقول إنه يستخدم كاتمًا للصوت !!

أومأ (فرانسوا) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى توتّر :

— نعم يا مسيو (چان) .. إنه محترف ولا شك .

وقال (مارسيل) فى هدوء :

— لم يعد هناك مجال للشك يا مسيو (چان) ، فالمصوِّر السينمائى المحترف لا يحمل مسدَّسًا مزوَّدًا بكاتم للصوت .

زفر (چان بول) فى قوَّة ، وهو يقول :

— إنه من رجال الأمن المصريين ولا شك .. لقد قرَّروا مهاجمتنا فى عقر دارنا .

ثم أردف فى توتُّر :

— ولكن هذا يعنى أنهم قد توصَّلوا إلينا .

غمغم (مارسيل) فى سخرية :

— هذا ما يبدو لى أيضًا يا مسيو (چان) .

لوَّح (چان بول) بذراعيه فى سخط ، وهو يقول :

— لابدَّ من التخلص منهما .. مهما كان الثمن .

هتف (فرانسوا) :

— لقد أصبت زورقهما ، ولا ريب أن (الكايمان) قد التهمتهما عن آخرهما .

ازداد انعقاد حاجبى (چان بول) ، وهو يفكِّر فى عبارة (فرانسوا) ، ثم عاد يلوِّح بذراعه قائلًا :

— لن أترك شيئًا للتخمين أو الاستنتاج .

ثم التفت إلى (مارسيل) ، قائلًا فى صرامة :

— اذهب بنفسك إلى حيث أصابهما (فرانسوا) يا (مارسيل) ، وإمَّا أن تعود إلىَّ بالدليل القاطع على مصرعهما ، أو تكمل ما بدأته تماسيح (الكايمان) .

* * *

كان زعيم التماسيح ينقضّ على (منى) فى ثقة ، وهو مطمئن إلى أن فريسته قد أصبحت ملك أنيابه ، وأن قوة فى الأرض لن تنجح فى انتزاعها منه ، ولكن سطح النهر انشقَّ فجأة عن مفاجأة مذهلة ..

عن رجل يطلقون عليه اسم (رجل المستحيل) ..

لم تكن المفاجأة من نصيب التمساح وحده ، بل كان الجزء الأعظم منها من نصيب (منى) ، التى اتسعت عيناها فى ذهول ، حينما قفز (أدهم) من تحت سطح النهر فجأة ، واعتلى ظهر التمساح الضخم ، وأخذ يعمل خنجره فى جسده ..

وثار زعيم التماسيح ، وأخذ يضرب صفحة الماء بذيله القوىّ ، وهو يحاول إلقاء خصمه عن ظهره ، وخنجر (أدهم) يغوص فى جسده ، ويمزِّقه بلا هوادة ..

وأخيرًا قرَّر التمساح أن يستدرج خصمه إلى العالم الذى هو سيِّده ..

إلى أعماق النهر ..

وغاص الخصمان إلى الأعماق ، وهناك كشف التمساح خطأ معتقداته ، فلقد كان خصمه سيِّدًا فى البرّ والبحر ، ولقد أثبت سيادته حينما شقّ بطن التمساح بطعنة أخيرة محكمة ، ارتجف لها وحش النهر ، ثم غاص صريعًا قتيلًا ، وأسرع أتباعه السابقون ينهشون جسده ، وكأنهم ينتقمون من سيطرته الطويلة عليهم ..

وصعد (أدهم) إلى سطح النهر ، واستنشق الهواء فى شغف ، ثم تلفَّت حوله بحثًا عن (منى) ، واتسعت عيناه ذعرًا حينما لم يعثر لها على أثر فى النهر ، أو فوق حافتيه ، وردَّدت الأدغال القاسية صرخته ، وهو يهتف باسمها فى لوعة وجزع ..

* * *



وغاص الخصمان إلى الأعماق ، وهناك كشف التمساح خطأ معتقداته ، فلقد كان خصمه سيِّدًا فى البرّ والبحر ..

٥ ـــ الرمـــح ..

شمل الجزع جسد (أدهم) حتى النخاع ، وهو يغوص فى مياه النهر ، متجاهلًا أنياب التماسيح المنشغلة فى التهام الصرعى من رفاقها ، باحثًا فى يأس عن رفيقة كفاحه وحياته ، حتى انتابه اليأس ، وبكى قلبه بدموع من دم ، وهو يتصوَّرها وقد سقطت فريسة لأنياب أحد التماسيح المفترسة ، حينما كان هو يقاتل زعيمها فى عمق النهر ، وأخذ يسبح نحو الشاطئ فى ألم ، حتى وصل إلى حافَة النهر ، فألقى جسده المنهك بالتعب والحزن إلى جوار جذع شجرة ضخمة ، وضمّ ركبتيه إلى صدره ، وألقى رأسه فوقهما ، وانتابته رغبة قوية فى البكاء ..

لم يستطع أن يتصوَّر نهاية (منى) على هذا النحو ..

(منى) الرقيقة الجميلة ، التى أحبها كما لم يحب قط مخلوقًا آخر فى هذا العالم ..

وأخذ يلوم نفسه فى قسوة لقبوله اشتراكها فى هذه العملية البالغة الخطورة ، وترقرقت عيناه بالدمع وهو يتصوَّر نفسه السبب فى مصرعها ..

لقد اعتاد مشاركتها إياه فى مغامراته ، حتى أنه لم يعد يطيق العمل دونها ، ولم يتصوَّر أبدًا أن يفقدها هكذا ..

بين أنياب تمساح .. يا للبشاعة !!..

جال بخاطره لحظة أن يقتل كل تماسيح الأرض انتقامًا لها ، إلّا أن اليأس العارم فى أعماقه منعه من أن يحرّك ساكنًا ..

وقد يصاب من يعرفون (أدهم صبرى) بدهشة بالغة ، إذا ما رأوه فى هذه الحالة من اليأس ، فهم يتصوَّرونه رجلًا قاسيًا جافًا ، لا مكان للعواطف فى أعماقه ..

هذا لأنهم لا يعرفونه إلا كما يرونه .. صلبًا ، قويًّا ، عنيدًا ، ساخرًا ، باسلًا ، مغامرًا ، صِنْدِيدًا ، مقاتلًا ..

ولكن (أدهم) ليس كذلك فقط ..

إن (أدهم صبرى) كتلة من الحب والحنان والمشاعر .. حتى فى قتاله يحب ..

إنه صلب قوىّ عنيد ؛ لأنه يحب وطنه ..

ساخر باسل مغامر من أجل رفعته وعلو شأنه ..

صنديد مقاتل دفاعًا عنه ..

إن الطاقة التى صنعت من (أدهم) كل هذا هى الحب .. الحب وحده ..

ولقد كانت (منى) نصف الحب فى أعماقه ..

ربَّما كان يسوءها أن تعلم أنها تمتلك نصف حبه فقط ، ولكنه لم يكن يستطيع منحها أكثر من ذلك ، فقد منح النصف الآخر لوطنه ..

منحه لمصر ..

وفى هذه اللحظة ، وهو يستند إلى جذع الشجرة ، كان يشعر أنه فقد نصف حبه .. ونصف عمره .. ونصف حياته ..

كانت أول مرة يبكى فيها رجل المستحيل ..

كانت أول مرة تسيل فيها دموعه كالحمم فوق وجهه فى صمت ، ودون أن يشعر ..

لقد كان ينعى نصف حياته المفقودة ..

وفى بطء وألم نهض (أدهم) ..

نهض مقاومًا أحزان قلبه الجارفة ليواصل عطاءه لنصف حياته الآخر ..

نهض ليواصل مهمته ، التى كلَّفته إياها مصر ، ومن أجل مصر ..

وفجأة تعلَّقت عينا (أدهم) بنقطة وسط الأغصان الكثيفة ، وارتجف قلبه فى قوة ، ولهث من سرعة نبضاته ؛ فقد

كان هناك رمح بدائى غاص نصله فى جذع شجرة قريبة ، وقد تعلَّق به جزء من قميص (منى) ..

وفى قفزة واحدة وصل (أدهم) إلى الرمح ، وانتزعه فى انفعال ، واختطف ذلك الجزء من القميص يتفحصه فى توتُّر ..

واتضحت الصورة فى رأسه ..

لقد سبحت (منى) إلى حافة النهر ، وهو يقاتل التمساح الرهيب ، وفاجأها رجال (الوميبزى) ، ومادام لم يعثر على جثتها فقد اختطفوها .. لقد حملوها حيَّة إلى قريتهم .

وكان هذا الأمل وحده كفيلًا بأن يتحوَّل رجل المستحيل إلى قنبلة حيَّة ..

قنبلة تموج بالحماس والإصرار والقوَّة والصَّلابة والبأس ..

قنبلة تحمل اسم (أدهم صبرى) ..

* * *

انحنى (مارسيل) يفحص الرمح الملقى على حافة النهر فى اهتمام ، ثم نهض واقفًا على قدميه ، ومطَّ شفتيه فى سخط وهو يغمغم :

ــ يا للشيطان !! .. إذن فقد نجا المصريَّان من التماسيح ، ووقعا فى يد (الوميبزى) (*) .

(*) (الوميبزى) : قبائل بدائية حقيقية ، تعيش فى أدغال (الكونغو) ، وتسمى بصائدى الرءوس .

غمغم (فرانسوا) فى توتُّر .

ـــ لعلَّ هذا ما تبقَّى منهما .

هزَّ (مارسيل) رأسَه نفيًا فى حَنَق ، وهو يقول :

ـــ لا أيها الأحمق ، إنك لا تحسن قراءة الأثر مثلما أفعل أنا .. لقد سبحت الفتاة إلى هنا أولًا ، وهاجمها (الوميبزى) ، وأسروها ، وحملوها إلى قريتهم ، ثم جاء ذلك الشيطان الذى قتل (چاك) ، وجلس عند جذع الشجرة هناك ، ثم عثر على الرمح ، وانتزعه من مكانه ، وخلع قميصه الملقى هناك ، ثم صعد إلى تلك الشجرة الضخمة ، وانقطعت آثاره عندها ، وهذا يعنى أنه ينتقل عبر الأشجار ، محاولًا تقليد (طرزان) ربيب القرود (*) .

اتسعت عينا (فرانسوا) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـــ هل علمت كل ذلك من الآثار هنا ؟

ابتسم (مارسيل) فى غطرسة ، وهو يقول :

ـــ بل من عشر سنوات من الخبرة يا رجل .

(*) طرزان : شخصية وهمية ابتكرها الكاتب (إدجار رايس باروز) ، ليؤكد بها عقيدته العنصرية ، عن قوة الرجل الأبيض وتحضُّره ، وقدرته على السيطرة على الزنوج ، الذين يبدون دائمًا متخلفين فى روايات (طرزان) .

وتحسَّس مسدَّسه المعلَّق فى جرابه الجلدىّ المدلَّى من ركن حزامه ، وهو يستطرد :

ـــ ومن السهل التيقُّن من ذلك يا (فرانسوا) ، فأنت تعلم أننا نهادن (الوميبزى) ونحوز صداقتهم وثقتهم ، منذ أقام (چان بول) حصنه هنا ، ومنذ بدأنا نرسل حمولات الذهب عبر أرضهم ، مقابل إمدادهم ببعض الأدوية والمؤن ، ولقد شارفت الشمس الغروب ، ومن الخطر اختراق الأدغال إلى قرية (الوميبزى) فى الظلام ؛ لذا سأذهب مع مشرق الشمس إلى زعيمهم ، وسأعرف منه مصير الرجل والفتاة .

ورفع عينيه إلى الشمس الغاربة ، وهو يردف فى سخرية :

ـــ أو أحصل على جثتيهما .

* * *

لم يتوقَّف (أدهم) .. لحظة واحدة عن القفز من شجرة إلى أخرى ، متعلِّقًا بأليافها الطويلة القوية ، منذ غادر حافة النهر ، حتى بدا أقرب ما يكون إلى (طرزان) ، وكأنه يؤكد عبارة (مارسيل) ، خاصةً وهو عارى الصدر ، مفتول العضلات ، وخنجره معلَّق فى نطاقه ..

ومع غروب الشمس ، وصل (أدهم) إلى قرية (الوميبزى) ، المحاطة بحاجز مرتفع من جذوع الأشجار ، ذات الأطراف المدببة ، التى أقام بها (الوميبزى) سورًا للدفاع عن قريتهم ، ضد هجوم الحيوانات المفترسة ، والقبائل المعادية ..

واختفى (أدهم) بين أغصان شجرة ضخمة ، تطلّ على ساحة القرية ، وأخذ يدرس المكان فى عناية وخبرة ..

كان رجال (الوميبزى) منهمكين فى صقل رماحهم وأسهمهم ، وشد أقواسهم ، فى حين يتحرَّك زعيمهم حولهم فى قوّة وهيبة ، يشدّ من أزرهم ، ويلهب حماسهم بعبارات لم يفهم منها (أدهم) حرفًا واحدًا .

وفى وسط الساحة انكبت نساء القرية على إيقاد نار ضخمة ، وطهو الصيد الذى أحضره الرجال ، فى حين حملت إحداهن وعاء طعام إلى كوخ منعزل ، يقف على حراسته رجلان مفتولا العضلات ، واضحا القوّة ، وفى يد كل منهما رمح قوىّ حادّ النهاية ..

ولم يكن الأمر يحتاج إلى الكثير من الذكاء ، ليعلم (أدهم) أنهم يحتفظون بـ(منى) هناك ، ولسنا نحتاج إلى براعة الاستنتاج ، لنعلم أنه لم يكن ينوى تركها بين أيديهم ..

ولكنه لم يحرِّك ساكنًا فى هذه اللحظة ..

ظلَّ ساكنًا فى مكمنه بين الأغصان ، كما لو كان تمثالًا من الرخام ، وعيناه لا تفارقان الكوخ ، حتى ساد الظلام ، وتناول رجال (الوميبزى) عشاءهم وأوى كل منهم إلى كوخه ، عدا رجال الحراسة ، الذين وقفوا فى شموخ يثير الإعجاب ، ورماحهم مشهورة فى أيديهم ..

وهنا فقط تحرَّك (أدهم) ..

زحف فوق غصن الشجرة الضخم فى نعومة الثعبان ، ثم تعلَّق بطرفه ، وترك جسده يتدلَّى لأسفل ، وأخذ يتأرجح لحظة ، ثم قفز فى مرونة الفهد وخفة القط داخل قرية (الوميبزى) ..

هبط (أدهم) على قدميه ، وثنى ركبتيه ليخفف من صوت هبوطه ، وليمتص جسده ثقله ، ثم تسلل فى خفة ورشاقة ، مستترًا بالأكواخ المتناثرة ، حتى وصل إلى كوخ (منى) ..

وفجأة انقض على حارسى الكوخ كالصاعقة ، فلكم أولهما لكمة كالقنبلة ، وغاصت قبضته فى معدة الثانى ، ثم عاجله بلكمة حطَّمت أنفه ، وتركهما يسقطان عند قدميه فى صوت مكتوم ، وترقَّب لحظة ، ليتأكَّد من أن صوت صراعه معهما لم يوقظ النائمين ، أو يثير قلق الحرَّاس الآخرين ، ثم دفع باب



وهنا فقط تحرّك (أدهم) .. زحف فوق غصن الشجرة الضخم فى نعومة الثعبان ..

الكوخ الخشبى ، ومرق داخله فى سرعة ، وأسرع إلى الجسد النائم فى ركنه ، وهزّه فى رفق ، وهو يهمس :

ـــ استيقظى يا (منى) .. إنه أنا .. (أدهم) .

وفجأة سمع شهقة مكتومة من الركن الآخر للكوخ ، أعقبه صوت (منى) ، وهى تهتف فى جزع :

ـــ (أدهم) ؟!

التفت (أدهم) فى دهشة إليها ، وعاد بعينيه إلى الجسد الذى أيقظه ، فطالعه وجه واحدة من نساء (الومبيزى) ملىء بالرعب ، وقبل أن ينجح فى منعها ، شقت سكون المكان بصيحة رعب قويّة ، لم تكد تتلاشى حتى ارتج المكان كله بصرخات (الومبيزى) القتالية، وهم ينقضون على الكوخ ..

* * *

٦ ـــ طعام الأسد ..

حطّمت صرخة المرأة خطة (أدهم) كلها فى ثانية واحدة ، واقتحم العشرات من رجال (الومبيزى) الكوخ فى غضب وثورة ، وانقضّوا على (أدهم) فى وحشية ، وقفزت (منى) من مكمنها تعاون زميلها ، الذى فاجأها بوصوله ..

وحطّمت قبضة (أدهم) الفولاذية فك أوّل الرجال ، وهشّمت الأخرى أنف الثانى ، وغاصت قدمه فى معدة الثالث ، فى حين تفادت (منى) رمح أحد الرجال ، ولكمته فى طرف أنفه ، فأزاحته عن طريقها ، ودارت على أطراف أصابع قدمها اليمنى كراقصة باليه ، لتركل رجلًا ثانيًا فى وجهه ..

ولكن (الومبيزى) كانوا مقاتلين أشدّاء شجعان ، وفى كل مرة يبعد (أدهم) أو تبعد (منى) أحدهم ، كان الآخرون يقاتلون بمزيد من البسالة والقوّة ، حتى أحاط عشرة منهم بـ(أدهم) ، وقيدوا حركته تمامًا ، وأسرع آخرون يكبّلون معصميه بأحبال ليفية ، فى حين فعل زملاؤهم المثل مع (منى) .

ولم تمض عشر دقائق منذ بدء القتال ، حتى كان (الومبيزى) يدفعون (أدهم) و (منى) أمامهم فى قسوة إلى حيث يجلس زعيمهم ، فوق عرش عظام الحيوانات المفترسة ، تزيّنه رءوس أعدائه ..

وساد الصمت التام حينما رفع الزعيم كفه فى مهابة ، وعاد يخفضها وهو يحدّق فى وجهى (أدهم) و (منى) فى غضب ، ولكن (أدهم) منحه ابتسامة ساخرة ، جعلت حاجبيه ينعقدان فى شدّة ، وهو يهتف بعبارة ساخطة ، مشيرًا إلى أحد رجاله ، الذى تقدّم من (أدهم) ، وسأله بفرنسية ركيكة :

ـــ هل تتحدّث الفرنسية ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول بفرنسية طليقة :

ـــ أعتقد أننى أتحدّث بها أفضل منك .

تجاهل المترجم البدائى النبرة الساخرة فى حديث (أدهم) ، وهو ينقله بلغة (الومبيزى) إلى زعيمه ، الذى صاح بعبارات أخرى ، نقلها المترجم إلى (أدهم) قائلًا :

ـــ الزعيم يقول إن تسلّلك إلى قريتنا عمل يستوجب إعدامك .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— قل له إن وجهه يشبه وجه قرد مصاب بعسر الهضم .

تجاهل المترجم البدائى حديث (أدهم) مرة أخرى ، وهو يستمع إلى زعيمه ، الذى أخذ يلوّح بكفه ، وهو يتحدّث فى صرامة ، قبل أن يقول المترجم :

— ولكنه عمل ينطوى على شجاعة بالغة ولا شك ؛ لذا فسيعاملك الزعيم كما نعامل المحاربين المتمردين .

أشار الزعيم بيده فى عظمة ، فأسرع رجال (الومبيزى) يجذبون (أدهم) إلى عمود خشبى فى منتصف الساحة ، وقيدوه إليه فى إحكام وقوّة ، ثم جذبت النساء (منى) إلى الكوخ ، وهى تقاومهن فى عنف ، واقترب المترجم من (أدهم) قائلًا :

— لن يطول بك الانتظار .. سينتهى كل شىء عند الفجر .

وتركه يضرب أخماسًا فى أسداس ، محاولًا استنتاج طريقة معاملة المحاربين المتمرّدين ، وإن لم يداخله شك فى أنها طريقة أبشع من الموت ذاته ..

* * *

لم يغمض جفن (أدهم) لحظة واحدة حتى مطلع الفجر ، ولم تتوقف محاولاته للتخلّص من القيد طيلة الوقت ، حتى

شقّت أشعة الشمس الأولى كبد السماء ، فغادر محاربو (الومبيزى) أكواخهم والتفوا حوله ، وهو يبتسم فى سخرية ، إلى أن تقدّم منه زعيمهم ، يصحبه مترجمه البدائى ، الذى قال بفرنسيته الركيكة :

— حانت لحظة الاختبار أيها الأبيض .

تحدّث الزعيم بضع لحظات ، ثم صمت وهو يحدّق فى وجه (أدهم) فى تحدٍّ ، وقال المترجم :

— أنت تريد الفتاة ، وهى من حق (الومبيزى) ، ولكننا سنمنحك إيّاها لو أنك نجحت فى إحضار أسد حىّ إلى هنا .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

— يا لها من مبادلة عادلة !!

تجاهل المترجم سخريته كالمعتاد ، وهو يواصل حديثه قائلًا :

— سنطلق سراحك الآن ، وسيكون عليك إحضار الأسد إلى هنا حيًّا قبل أن يتوسّط قرص الشمس كبد السماء ، وإلا أصبحت الفتاة نفسها طعامًا للأسد .

عقد (أدهم) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

— لو مسّ أحدكم شعرة واحدة من رأسها فسأقتلكم جميعًا .

لم يحاول المترجم نقل هذه العبارة الأخيرة إلى زعيمه ، الذى أشار لرجاله بحلّ قيود (أدهم) ، ثم اقتادوه إلى بوّابة القبيلة ، حيث أشار المترجم إلى شروق الشمس ، قائلًا :

— ستجد الأسود إذا ما تحرّكت فى اتجاه الشمس ، ولا تحاول العودة لإنقاذ الفتاة ، فسيقتلها رجالنا إذا ما رأوك تقترب .

ثم أغلق الرجال بوّابة القبيلة الخشبية الضخمة فى وجه (أدهم) ، وقد صدر حكم زعيم القبيلة ..

ووقف (أدهم) يتطلّع إلى قرص الشمس لحظة ، ثم غمغم فى صرامة :

— لن أخذلك هذه المرّة يا عزيزتى (منى) .. سأحضر ذلك الأسد حيًّا ، أو أدفع حياتى ثمنًا لك .

واتجه فى صلابة إلى حيث تشرق الشمس ..

* * *

انخرطت (منى) فى بكاء أليم ، منذ أغلق رجال (الومبيزى) بوّابتهم خلف (أدهم) ، وقد تصوّرت أن ذلك المطلب المستحيل يعنى نهايتها ونهاية (أدهم) معًا ، ولم تتوقّف عن بكائها إلا عندما صكّ مسامعها صوت هليوكوبتر

تهبط فى ساحة القرية ، فأسرعت تجفّف دموعها ، وتختلس النظر عبر شقوق الكوخ إلى الساحة ، ولم تستطع منع تلك القشعريرة التى سرت فى جسدها ، حينما وقع بصرها على الشاب المفتول العضلات ، الذى هبط من الهليوكوبتر ، واستقبله زعيم القبيلة بالترحاب ..

لقد كان (مارسيل) ، الذى هتف فى مرح ، وهو يصافح الزعيم :

— كيف حال أعظم زعماء (الومبيزى) ؟

قام المترجم بدوره فى نقل الحديث بين الطرفين ، حينما قال الزعيم :

— فى خير حال أيها الأبيض الصديق .

قال (مارسيل) :

— إننى أبحث عن رجل أبيض وفتاة بيضاء ، كانا عند حافة النهر أمس .

شرح له الزعيم ما حدث فى كلمات موجزة ، و (مارسيل) يصغى إلى المترجم فى اهتمام ، حتى وصل إلى العقاب الذى وقّعه زعيم (الومبيزى) على (أدهم) و (منى) ، فأطلق (مارسيل) ضحكة ساخرة عالية ، وقال فى جذل وحشى :

ـــ يحضر أسدا حيًّا ؟ نعم .. إنها فكرة مدهشة أيها الزعيم .. فليحضر أسدا حيًّا ، أو ليلق حتفه هو وزميلته .

وعاد يطلق تلك الضحكة الوحشية الساخرة ..

* * *

أخذ (أدهم) ينتقل بين الأشجار ، قافزًا من واحدة إلى أخرى ، متعلّقًا بأليافها المتدلّية ، تمامًا كما كان يفعل حينما كان يبحث عن قرية (الومبيزى) ، حتى وصل إلى منطقة من الأحراش الممتدة ، فاستقرّ وهو يلهث فوق غصن شجرة قويّة ، وأخذ ينتزع أليافها فى سرعة ومهارة ، ويجدلها على هيئة حبل قوىّ ، حتى انتهى من صنع الحبل ، وتأكّد من متانته ، ثم صنع من أحد طرفيه أنشوطة تشبه تلك التى يستعملها رعاة الأبقار ، وقفز من فوق الشجرة إلى الأرض ، وهو يغمغم :

ـــ والآن أين أنتم أيها الأسود ؟

وأخذ يتحرّك وسط الأحراش فى حذر ، وهو يتلّفت حوله ، حتى استقرّ بصره على أسد ضرغام ، انهمك فى التهام فريسته ، فعقد حاجبيه وهو يقول فى سخرية :

ـــ لا تملأ معدتك أيها الليث ، وإلّا فما نجحت فى اجتذابك .



وأخذ ينتزع أليافها فى سرعة ومهارة ، ويجدلها على هيئة حبل قوىّ ، حتى انتهى من صنع الحبل ، وتأكد من متانته ..

وأطلق فجأة زئيرًا قويًّا ، يشبه زئير الأسد ، الذى رفع رأسه عن فريسته فى دهشة ، وأدار عينيه الحادتين إلى حيث يقف (أدهم) ، الذى لوّح بأنشوطته فى تحدّ ، وعاد يطلق ذلك الزئير القوىّ .

وزأر الأسد بدوره ، وقد قرأ التحدّى فى عينى (أدهم) ، ثم انطلق نحوه فى شراسة ، وهو ينوى ضمّه إلى قائمة طعامه ..

وألقى (أدهم) كل إصراره ، ورغبته فى الظفر إلى قدميه ، وانطلق يعدو فى سرعة مذهلة ، أمام الأسد الذى تملّكه الغضب ، وأخذ يقترب من (أدهم) ، وهو يزأر فى قوّة ووحشية ، حتى كادت مخالبه تنغرس فى جسد (أدهم) ، الذى اندفع نحو أقرب شجرة خارج منطقة الأحراش ، وقفز إليها دافعًا جسده إلى أعلى بأقوى ما يمكنه ، وتعلّق بغصن الشجرة فى نفس اللحظة التى قفز فيها الأسد نحوه ، ورفع قدميه إلى أعلى متفاديًا مخالبه ، ثم دار بجسده حول الغصن فى رشاقة ومرونة ، واستقرّ جالسًا فوقه ، وابتسم ساخرًا وهو يتأمّل الأسد الثائر ، الذى أخذ يمزّق لحاء الشجرة بمخالبه فى غضب ، محاولًا الصعود إلى حيث جلس (أدهم) ، الذى غمغم فى تهكّم :

ـــ معذرة يا ملك الغابة .. لم تحن لحظة مصرعى بعد .

ثم أدار أنشوطته فى الهواء ببراعة ، وقذف بها نحو الأسد ، فالتفّتْ حول عنقه ، وأحكمت رباطها مع جذبة (أدهم) القويّة ، وازداد هياج الأسد وهو يحاول التخلّص من قيد رقبته ، ولكن (أدهم) زاد من قوّة جذْبه ، حتى جحظت عينا الأسد ، وبدا وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

وهنا انقضّ (أدهم) على الأسد ، واشتبك ليث البشر مع ملك الأدغال ، وانتفضت أدغال (الكونغو) من هول الصّراع ..

* * *



٧ ــ الومبيزى ..

تهلَّلت أسارير (چان بول) ، وارتفع حاجباه فى دهشة وسعادة ، وهو يهتف فى جذل :

ــ يحضر أسدا حيًا ؟!.. ياله من مطلب !!

وأطلق ضحكة مجلجلة ، وهو يستطرد :

ــ إنه لن ينجح فى ذلك أبدا .. ما من بشر يمكنه أن يفعل ذلك بيديه العاريتين .

ولكن القلق لم يلبث أن عاد يكسو ملامحه ، وهو يردف فى توتُّر :

ــ ولكن ماذا لو أنه ترك الفتاة لمصيرها ، وأتى إلى هنا ؟

ابتسم (مارسيل) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ إنه لن يفعل ذلك .

هتف (چان بول) فى سخط :

ــ وكيف يمكنك أن تكون واثقًا هكذا ؟

هزَّ (مارسيل) كتفيه فى لامبالاة وهو يقول :

ــ لقد خاطر بنفسه فى محاولة لإنقاذها من قرية (الومبيزى) ، على الرغم من كل ماينطوى عليه ذلك من مخاطر ، ولن يتردَّد فى محاولة إنقاذها مرَّة أخرى .

عقد (چان بول) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ يبدو لى حديثك منطقيًا يا (مارسيل) ، ولكننى اعتدت ألَّا أثق إلا فيما أراه بعينىَّ ، وأومن بأن هذا سر نجاحى فى عمليات تهريب الذهب .

عاد (مارسيل) يبتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لم يمكنك ذلك هذه المرَّة يا مسيو (چان) ، فجثة ذلك الشيطان المغامر لابدَّ أنها تستقر الآن فى معدة أسد جائع .

عقد (چان بول) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ــ قد لايمكننى رؤية جثته يا (مارسيل) ، ولكننى أستطيع التأكُّد من مصرعه ، فستنطلق أنت و (فرانسوا) إلى قرية (الومبيزى) بعد أن ينتصف النهار ، فإذا ماوجدتموهم قد أطعموا الفتاة للأسود ، فسيعنى هذا أن الرجل قد لقى مصرعه ، أمَّا إذا ....

قاطعه (مارسيل) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لاتوجد (إذا) يامسيو (چان) .

ثم أردف فى شراسة :

ــ إذا كانت الأسود قد فشلت فى قتل ذلك الشيطان المصرى ، فأنا لن أفشل .. ولو وجدته حيًا فسأقتله بيدىَّ هاتين .

وجذب صمام مدفعه الرشاش ، ثم غادر الحجرة فى خطوات سريعة ..

* * *

توسَّطت الشمس كبد السماء ، واختلج قلب (منى) بين ضلوعها ، حينما قال لها المترجم البدائى :

ــ لقد انتصف النهار ، وفشل صاحبك ، ولا مفرّ من تنفيذ القانون .

ترقرقت الدموع فى عينى (منى) ، وهى تغمغم فى جزع :

ــ ولكن هذا مستحيل !! إن عدم عودة (أدهم) تعْنى أنه .... أنه .....

واتسعت عيناها فى ألم وذعر ، وهى تهتف :

ــ ياللهول !! إنها تعنى أن (أدهم) قد لقى مصرعه .

التفَّت حولها نساء القبيلة ، وأخذن يترنمن بأغنية عجيبة ، لم تفهم منها (منى) كلمة واحدة ، ولكنها فهمت أنها نوع من التأبين لها ، قبل إلقائها للأسود ..

وفجأة ثار الغضب فى أعماقها ، وانتفضت به عروقها ، فصرخت فى قوَّة :

ــ كلَّا ..

وفى حركة سريعة لكمت أقرب النساء إليها ، وغاصت إلى أسفل متفادية الأيدى التى حاولت الإمساك بها ، ثم انطلقت تعدو نحو بوَّابة القبيلة بلا هدف ، وراوغت أحد مقاتلى (الومبيزى) حينما حاول إيقافها ، وعبرت تحت ذراع آخر ، ولكن الثالث جذبها من شعرها فى قسوة ، وطوَّق ذراعيها ووسطها بساعديه القويتين ، وحملها متجاهلًا مقاومتها الشرسة ، وألقاها تحت قدمى الزعيم ، ثم رفع رمحه إلى أعلى ، وكاد يطعن قلبها ، لولا أن انبعث هتاف قوىّ من حارسى البوَّابة ، جعل أفراد القبيلة يهتفون فى دهشة ، وتتسع عيونهم وهم يتبادلون نظرات مذهولة ، ثم تركوها ملقاة عند قدمى الزعيم ، وأسرعوا جميعًا يفتحون البوَّابة ، وتسمَّروا أمامها فى ذهول ، فنهضت (منى) فى بطء ، وتطلَّعت إلى البوَّابة بدورها ، ولم تكد تتطلَّع إلى مايرونه حتى صرخت بمزيج من الذهول الشديد والفرح العارم :

ــ ياإلهى !!.. (أدهم) !!

ولم تستطع منع ذلك الإعجاب الذى امتزج بفخر قوىّ ، ملأ عروقها حتى الأعماق ، وهى تتطلّع إلى (أدهم) ، الذى بدا كواحد من الأبطال الأسطوريين بعضلاته المفتولة ، وشموخه ، وقامته المنتصبة ، وهو يحمل فوق كتفيه أسدًا ضخمًا ، قيّد أقدامه الأربع بحبل من ألياف الأشجار ، وكمّم فمه بأنشوطة من النوع نفسه ، وقد سالت الدماء من جروح متعددة فى صدره وذراعيه ..

واحتبست أنفاس (الومبيزى) ، وتراجعوا فى خوف واحترام ، ليفسحوا الطريق أمام ذلك المشهد الأسطورى ، و (أدهم) يتقدّم فى هدوء نحو زعيمهم ، الذى ظلّ ساكنًا ، بارد النظرات ، حتى وصل (أدهم) إليه ، وألقى الأسد تحت قدميه ، ونصب قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

ــ ها هو ذا الأسد الحىّ !!

وشقّ عنان السماء هتاف إعجاب قوىّ ، أطلقه محاربو (الومبيزى) ، وهم يهتفون (رجل المستحيل) ..

* * *

اندفعت (منى) تتعلّق بـ (أدهم) ، وهى تهتف فى سعادة غامرة :



واحتبست أنفاس (الومبيزى) ، وتراجعوا فى خوف واحترام ، ليفسحوا الطريق أمام ذلك المشهد الأسطورى ..

ــ لقد فعلتها مرّة أخرى .. لقد خرقت حاجز المستحيل .

ابتسم وهو يربّت على كتفها فى حرارة وحنان ، قائلًا :

ــ لقد فعلتها من أجلك يا (منى) .

امتلأ قلبها بالفخر والسعادة والحب ، وهى تجفّف دماءه بأصابعها ، فى حين رفع الزعيم ذراعه ، وابتسم لأوّل مرّة ، ونقل المترجم البدائى كلماته القويّة إلى (أدهم) و (منى) ، قائلًا :

ــ يقول الزعيم إنك مقاتل يستحق الإعجاب ، وإنك أعظم من كل محاربى (الومبيزى) ، وإنه من العار قتل رجل مثلك ، أو حتى مجرّد خدشه ، وإنك فخر لكل الرجال البيض ، وهو يعتذر عن كل ما بدر منا فى حقك وحقّ رفيقتك ، وهو يدعوكما لقبول ضيافته لمدة يومين ، حتى يزيل من نفسيكما أثر ما حدث منا .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ــ قل لزعيمك إنه أيضًا زعيم عظيم ، يحترم وعوده ، وإننا كنا نتمنى البقاء فى ضيافته ، ولكن لدينا مهمة خاصة من أجل شعبنا ، تجعلنا نضطر لمغادرتكم .

نقل المترجم كلمات (أدهم) إلى الزعيم ، الذى بدا آسفًا وهو يجيب عنها ، ولقد أعاد المترجم إجابة الزعيم ، قائلًا :

ــ يقول الزعيم إن هذا يؤسفه ، ولكنه لن يمنعكما من القتال من أجل شعبكما ، وهو يؤكد أنه سيكون لكما مكان دائمًا على مائدة (الومبيزى) ، و .....

بتر المترجم البدائى عبارته ، وارتفعت عيون الجميع إلى أعلى ، حينما ارتفع هدير الهليوكوبتر التى تقلّ (فرانسوا) و (مارسيل) ، وهى تحلّق فوق الأشجار ، وتحاول الهبوط فى ساحة القرية ، وبداخلها هتف (مارسيل) فى ذهول :

ــ ياللشيطان !!.. لقد جاء الرجل بالأسد الحىّ .

هتف (فرانسوا) فى ذهول مماثل :

ــ هذا مستحيل !!

اختطف (مارسيل) مدفعه الرشّاش ، وهو يقول فى غضب هادر :

ــ إنه لن ينجوَ منى .. لن ينجوَ أبدًا ..

وصوّب فوهة مدفعه إلى جسدى : (أدهم) ، و (منى) قبل أن تستقر الهليوكوبتر وسط الساحة ، وأطلق النار ..

* * *

٨ ـ الطريق نحو الهدف ..

ليس من السهل أن يحدّد علماء وظائف الأعضاء كيف يتصرّف (أدهم صبرى) فى مثل هذه المواقف ، فهو يحطّم دائمًا كل النظريات المعروفة فى تخصُّصهم ، وكل التجارب العملية التى ينهكون فيها أنفسهم فى معاملهم ، وكل النتائج التى تزخر بها كتبهم ، ولن يكون أمامهم ، بعد أن تنهكهم دراسة ردود أفعاله ، إلا أن يقولوا ، وهم يهزّون أكتافهم فى حَيْرة ، إنه الاستثناء اللازم لتأكيد كل قاعدة علمية معترف بها ..

ففى نفس اللحظة التى اقتربت فيها الهليوكوبتر من الأرض ، والتى استعدّ فيها (مارسيل) لإطلاق النار على (أدهم) و (منى) ، انطلق (أدهم) كالبرق نحو الهليوكوبتر ، وبدت قفزاته مذهلة فى عيون الجميع ، وهو ينقضّ على (مارسيل) ، ويقبض على معصمه ، ليبعد فوّهة مدفعه الرشّاش عن الساحة ..

وانطلقت الرصاصات فى الهواء ، وامتلأ قلب (فرانسوا) بالرعب أمام المشهد المذهل ، فعاد يرتفع بالهليوكوبتر وهو

يرتجف ، فى حين ظلّ نصف جسد (أدهم) معلّقًا فى الهواء خارج الهليوكوبتر ، وهو يتصارع مع (مارسيل) فى شراسة ..

ولقد كان (مارسيل) قويًا جريئًا ، مما جعله يوجّه لكمة قوية إلى فك (أدهم) ، صائحًا فى غضب :

ـ ليس من السهل أن تفعل ذلك مع (مارسيل) .

تلقى (أدهم) اللكمة فى فكه ، وشعر برأسه يدور من شدة إرهاقه ، إلا أنه سيطر على وعيه ، وهو يتشبَّث بحاجز الهليوكوبتر بقبضته اليسرى ، ويوجّه لكمة صاعقة إلى أنف (مارسيل) ، قائلًا فى سخرية :

ـ مع من تحب أن أفعلها إذن ؟

ترنّح (مارسيل) ، وترك مدفعه الرشاش يسقط من الهليوكوبتر ، ثم عاد يتشبَّث بمقعده ، ويوجّه لكمة أخرى إلى وجه (أدهم) ، صارخًا فى ثورة :

ـ أيها الشيطان الحقير !!

تفادى (أدهم) اللكمة فى براعة ، وعاد يلكم (مارسيل) فى معدته ، فتأوّه ، وصرخ فى غضب :

ـ أيها المخادع .

وفى حركة سريعة مفاجئة التقط مسدَّسه من جرابه ، وألصقه بجبهة (أدهم) ، وأطلق النار ..

* * *

مرّة أخرى نعود إلى علماء وظائف الأعضاء ، وإلى نظرياتهم المعقّدة ، فلم يكد (أدهم) يرى مسدَّس (مارسيل) وهو ينتزعه من جرابه ، ويشعر بفوّهته الباردة تلتصق بجبهته ، حتى أفلت قبضته الممسكة بحاجز باب الهليوكوبتر ، وثنى جسده إلى الخلف فى مرونة ، وشعر برصاصة (مارسيل) تعبر فوق رأسه تمامًا ، وترك جسده يهوى إلى أسفل ، حتى بدا وكأنه سيسقط من حالق ، إلا أنه تشبَّث فى اللحظة الأخيرة بالقائم الأفقى ، الذى تستقر فوقه الهليوكوبتر عند هبوطها ، ودار بجسده كله فى رشاقة مذهلة دورة رأسية ، ليلفّ ساقيه حول عنق (مارسيل) ، ثم يجذبه إلى خارج الهليوكوبتر فى حركة سريعة رائعة ..

وجحظت عينا (مارسيل) فى رعب ، وهو يحاول التشبُّث بأى شىء ، وطوّح ذراعيه فى الهواء فى يأس ، قبل أن يهوى من ارتفاع عشرين مترًا إلى ساحة قرية (الومبيزى) ..

وارتجف جسد (فرانسوا) من قمة رأسه حتى أخمص

قدميه ، حينما رأى (مارسيل) يسقط على رأسه ، الذى تهشّم وسط الساحة ، ووصل رعبه إلى ذروته عندما شاهد (أدهم) وهو يحاول القفز داخل الهليوكوبتر ، فصعد بها على حين غرة ، ومال إلى الجانب الذى يتعلّق به (أدهم) ، محاولًا إلقاء (رجل المستحيل) خلف (مارسيل) ، ولكن (أدهم) نجح على الرغم من ذلك فى القفز داخل الهليوكوبتر وأمسك ذراع (فرانسوا) فى قوة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ معذرة أيها الوغد .. سأضطر إلى استعارة هذه الهليوكوبتر .

صاح (فرانسوا) فى رعب :

ـ إنها لك .. إنها لك ولكن لا تضربنى .. أرجوك .

قلب (أدهم) شفتيه فى امتعاض ، كعادته كلما قابل رجلًا يرتجف خوفًا ، وقال فى لهجة صارمة آمرة :

ـ حسنًا أيها الرِّعْديد .. إننى لن أضربك ، ولكننى أريد منك أن تهبط وسط الساحة .. هيًا .. قبل أن ينتابنى الغضب .

وأطاع (فرانسوا) الأمر فى رعب .

* * *

تطلَّع زعيم (الومبيزى) إلى رجاله وهم ينقلون جثة (مارسيل) ، ويقودون (فرانسوا) أسيرًا إلى أحد الأكواخ ، ثم التفت إلى (أدهم) ، قائلًا ـــ على لسان المترجم ـــ فى أسف :

ـــ يا للأسف !! لقد كنا نظنهما من الأخيار .

أجاب (أدهم) وهو يفحص خزانة المدفع الرشاش ، ويدس المسدَّس فى حزامه :

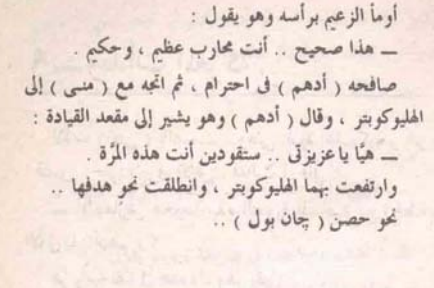
ـــ سيعلمك هذا أن تتروَّى كثيرًا أيها الزعيم ، قبل أن تصدر أحكامك .

مطَّ الزعيم شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ـــ هذا صحيح .. ليس من الصحيح أن يثق المرء فى رجل أبيض .

عقد (أدهم) حاجبيه وهو يقول :

ـــ لا فارق بين أبيض أو أسود أيها الزعيم .. كلنا بشر ، وكلنا إخوة ، وهناك طيبون وأشرار بين البيض ، كما هم بين السود ، والحكم على طبيعة الإنسان وأخلاقه من خلال لونه وحده أمر قبيح ، فقلوبنا كلها من لون واحد ، مهما اختلفت بشرتنا .



أومأ الزعيم برأسه وهو يقول :

ـــ هذا صحيح .. أنت محارب عظيم ، وحكيم .

صافحه (أدهم) فى احترام ، ثم اتجه مع (منى) إلى الهليوكوبتر ، وقال (أدهم) وهو يشير إلى مقعد القيادة :

ـــ هيَّا يا عزيزتى .. ستقودين أنت هذه المرَّة .

وارتفعت بهما الهليوكوبتر ، وانطلقت نحو هدفها .. نحو حصن (چان بول) ..

* * *



٩ ـــ وبدأت المعركة ..

لاذت (منى) بالصمت ، وهى تقود الهليوكوبتر نحو الحصن ، حتى لاح فى الأفق ، فقالت فى قلق :

ـــ ألا يتعارض هجومنا بهذه الصورة السافرة مع الخطة الأولى يا (أدهم) ؟

هزَّ رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ نعم يا عزيزتى ، فهذه الهليوكوبتر تخصّ (چان بول) ، وهو ينتظر عودتها إليه ، ولن يحاول إطلاق أسلحته المضادة للطائرات نحوها .

غمغمت مبتسمة :

ـــ وماذا لو أنه فعل ؟

جاءتها إجابته فى لهجة صارمة :

ـــ سيكون الندم من نصيبه يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها وهى تعود إلى صمتها ، وإن تضاعف قلقها وهى تقترب من الحصن ، وقد وضحت صورة رجال الحراسة

الذين يملئون سطحه ، ولم تكد تقترب منه حتى ارتفع صوت ، يقول عبر جهاز اللاسلكى :

ـــ من القاعدة إلى (هـ ـــ ٢) .. حدِّد شخصيتك وكلمة السرّ .

هتفت (منى) فى توتُّر :

ـــ يا إلهى !!.. هذا ما كنت أتوقَّعه ، توجد كلمة سرّ يا (أدهم) .

عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ تجاهلى ذلك يا عزيزتى .

إلَّا أن الصوت عاد يكرِّر فى حِدَّة :

ـــ حدِّد شخصيتك وكلمة السرّ قبل أن نضطر لإطلاق النار عليك .

أدار (أدهم) جهاز اللاسلكى ، وتقمصت حنجرته صوت (مارسيل) فى مرونة مذهلة ، وهو يقول :

ـــ إنه أنا أيها الغبىّ .. أنا (مارسيل) .

عاد الصوت يقول فى لهجة بالغة الصرامة :

ـــ كلمة السرّ أو أطلق النار .

أغلق (أدهم) جهاز اللاسلكى وهو يغمغم فى سخرية :

ــ يبدو أن ذلك الوغد (چان بول) شديد الحذر بالفعل يا عزيزتى ، سنضطر لمباغتته بخطتنا ، قبل أن يتخذ قراره فى شأننا .

ورفع صمام الأمان فى مدفعه الرشاش ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ فلنبدأ معركتنا يا (منى) .

ولم يكد يتم عبارته حتى ضغطت (منى) زرّ الإطلاق ، فى نهاية عصا القيادة ، وانقضّت تغمر سطح الحصن برصاصات الهليوكوبتر ..

* * *

انهمرت رصاصات الهليوكوبتر على رجال (چان بول) كالمطر ، قبل أن ينتبه أحدهم إلى ذلك الهجوم المباغت ، وانقضّت الهليوكوبتر تقودها (منى) ببراعة على السطح ، وانخفضت إلى حد كبير ، ليقفز منها (أدهم) ، قبل أن تعاود ارتفاعها فى مهارة ..

ولم تكد أقدام (أدهم) تستقر فوق السطح ، حتى اصطلى رجال (چان بول) برصاصات مدفعه الرشاش ، وهو يندفع نحوهم عارى الصدر ، ويمطرهم بنيرانه ،



انهمرت رصاصات الهليوكوبتر على رجال (چان بول) كالمطر ، قبل أن ينتبه أحدهم إلى ذلك الهجوم المباغت ..

وأذهلتهم شجاعته ، ومهارته الفائقة فى إطلاق النار ، فتراجعوا أمامه فى ذعر ، وطاشت عنه رصاصاتهم ، التى يطلقونها بأيد مرتجفة ..

وعادت الهليوكوبتر التى تقودها (منى) تنقضّ عليهم ، وتحصدهم بنيرانها ، ووصلت أصوات القتال إلى (چان بول) ، فقفز إلى جهاز اللاسلكى ، وهتف فى توتُّر بالغ :

ــ ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟

أجابه مسئول الأمن فى انفعال :

ــ إنه هجوم يا مسيو (چان) .. لقد استولى رجل وفتاة على الهليوكوبتر التى انطلق بها (مارسيل) و (فرانسوا) ، والفتاة تمطر رجالنا بنيران الهليوكوبتر ، فى حين يقاتلهم الرجل فى شراسة فوق السطح .

صرخ (چان بول) فى صرامة :

ــ أطلقوا أسلحتنا الدفاعية على الهليوكوبتر ، وحاصروا الرجل فوق السطح .

ثم أغلق جهاز اللاسلكى ، وهو يستطرد فى غضب :

ــ لن يهزمنى رجل وفتاة .. لن ينهار حصن (چان بول) أبدًا ..

* * *

تحوّل سطح حصن (چان بول) إلى قطعة من الجحيم ، مع النيران المتراشقة بين (أدهم) ورجال (چان) ، ومع انقضاضات الهليوكوبتر المحكمة ، وبدا الأمر فى غير صالح (چان بول) ورجاله ، على الرغم من الفارق العددىّ الضخم ، حتى انطلق صاروخ صغير من الحصن نحو الهليوكوبتر ..

وفوجئت (منى) بالصاروخ ينطلق نحوها فى إصرار ، فانحرفت بالهليوكوبتر محاولة تفاديه ، إلا أنه انحرف خلفها ، كما لو كان يراها ، وبات من الواضح حينما عدَّل مساره ليلحق بها فى المرَّة الثانية أنه موجَّه إليكترونيًا عن بعد ..

ولم يكن هناك أمل فى النجاة ..

وفى محاولة أخيرة ، انخفضت (منى) بالهليوكوبتر حتى قمم الأشجار ، وحاولت أن تنحرف بها مرَّة أخرى ، إلَّا أنها رأت الصاروخ ينقض على مقدّمتها فى قوة ، فهتفت فى ذعر :

ــ يا إلٰهى !!

وانفجرت الهليوكوبتر بدوىّ هائل ، انتزع (أدهم) من قتاله ، وجعل عينيه تتسعان فى جزع ، وهو يهتف من أعماق قلبه :

— يا إلهى !!.. (منى) !!

فقد رأى الهليوكوبتر تهوى مشتعلة وسط الأدغال المحيطة بالحصن ، وكان هذا آخر ما رآه ..

لقد تلقَّى ضربة قويَّة على مؤخرة عنقه ، أرسلته فى غيبوبة عميقة ..

عميقة حتى الموت ..

* * *



١٠ ــ الأسير ..

شعر (أدهم) وكأنه يهوى فى أعماق بئر سحيقة ، وامتلأ رأسه بطنين قوىّ ، وتسلَّلت آلام مبرحة عَبْرَ ذراعيه إلى معصميه ، وارتجف جفناه فى قوة وهو يفتحهما فى صعوبة ، ويتأمَّل بعينين نصف مفتوحتين وجه الرجل الواقف أمامه ..

وفجأة .. جذبه (چان بول) من شعره فى قسوة ، وهو يقول فى غضب :

— هيَّا .. استيقظ أيها الشيطان .. إننى لن أقضى يومى كله فى انتظار استعادتك لوعيك .

أراد (أدهم) أن يلكمه فى أنفه ، ولكنه كشف فى هذه اللحظة فقط أنه مقيَّد من معصميه ، وأن ذراعيه مرفوعتان إلى أعلى ، يشدُّهما حبل غليظ إلى سقف الحجرة ، التى يقف فى منتصفها ، فاعتمد على قدميه ليقلِّل من آلام جذب جسده لمعصميه ، وفتح عينيه يمنح (چان بول) نظرة ساخرة ، وهو يقول :

— هأنذا يا عزيزى الوغد ، ماذا تريد منى ؟

صاح (چان بول) فى وجهه بغضب :

— من أنت ؟.. ولماذا تسعى خلفى ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— فلنقل إننى (علاء الدين) ، صاحب المصباح السحرى ، وإنك الساحر الذى .....

قاطعه (چان بول) بصفعة قويَّه ، وهو يصرخ :

— هل تحاول تقليد أبطال السينما ؟

احتقن وجه (أدهم) من فرط غضبه ، وقال فى صوت صارم ، أثار الرجفة فى جسد (چان بول) :

— ستدفع حياتك ثمنًا لهذه الصفعة أيها الوغد ..

تراجع (چان بول) لحظة أمام لهجة (أدهم) الصارمة ، وتهديده المخيف ، ثم لم يلبث أن تذكَّر أنه المسيطر على الأمر حتى هذه اللحظة ، فعاد يصيح فى غضب :

— من أنت ؟.. وماذا تريد منى ؟.. وأين (مارسيل) و (فرانسوا) ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— لقد تعثَّر صديقك (مارسيل) فى قشرة موز ، فسقط على رأسه ، وتحطَّم عنقه ، أما (فرانسوا) فهو فى حوزتى ، ولن تسترده إلَّا .....

قاطعه (چان بول) بصرخة استنكار :

— فى حوزتك ؟!.. هل كنت تظن أننى مستعد للتنازل عن ذرة واحدة فى مقابل هذا الأحمق ؟

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول فى سخرية :

— يا إلهى !!.. لقد تصوَّرت أنك ستسلِّم نفسك إلى السلطات من أجله .

احتقن وجه (چان بول) غضبًا أمام لهجة (أدهم) الساخرة ، فعاد يجذبه من شعره فى قسوة ، وهو يصرخ :

— من أنت ؟.. من أنت بحق الشيطان ؟

حافظ (أدهم) على ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

— سيدهشك أن تعلم من أنا أيها الوغد .

ثم أردف فى صرامة :

— أنا ضابط مخابرات مصرى .

انتفض جسد (چان بول) فى قوة ، وترك شعر (أدهم) ، وهو يتراجع فى ذعر ، ويهتف فى ذهول :

— ضابط مخابرات مصرى ؟!
ثم لوّح بذراعيه مستطرذا فى جزع :
— وماذا تريد منى المخابرات المصرية ؟
حدّق (أدهم) فى عينيه بتحدٍّ ، وهو يقول فى هدوء :
— لقد أتيت إلى هنا لغرض واحد يا (چان بول) .
وأردف فى صرامة وحزم :
— أن أقتلك .
اتسعت عينا (چان بول) فى ذهول ، وهو يهتف :
— تقتلنى ؟!
ثم عقد حاجبيه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وأردف فى غضب :
— من الواضح أن مهمتك قد فشلت أيها الضابط المصرىّ ، فأنا الذى سأقتلك لا أنت .
وارتجف صوته من فرط غضبه وانفعاله ، وهو يستطرد فى عصبية :
— سأشنقك على أقرب شجرة إلى حصنى .. الآن .

* * *

تطلّع رجال (چان بول) إلى (أدهم) فى دهشة ، وهم يقودونه إلى خارج الحصن لإعدامه ، فقد كانت هذه هى أول مرّة فى حياتهم يرون رجلًا يساق إلى الموت ، وهو يحمل على شفتيه تلك الابتسامة العجيبة ، التى تبدو وكأنها تسخر من الموت نفسه ، وتضاعفت دهشتهم حينما ألقى أحدهم بالحبل المعدّ لشنقه فوق غصن أقرب شجرة للحصن ، ووضع الأنشوطة فى نهايته حول عنقه ؛ فقد اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :
— يبدو لى أنك تجيد عملك أيها الوغد .
تبادل الرجال نظرات الدهشة ، ثم غمغم أحدهم فى سخط :
— أراهنك أن سخريتك هذه ستتلاشى عمّا قريب ، حينما يتأرجح جسدك فى حبل المشنقة .
تألقت عينا (أدهم) ببريق عجيب ، وهو يقول :
— ستخسر رهانك أيها الوغد .
أسرع الرجل يقبض على طرف الحبل ، وهو يقول فى غضب :
— لا أعتقد أيها المغرور ، سيسعدنى أن أرى عينيك الجاحظتين ، ولسانك المدلّى حينما أجذب هذا الحبل .



ووضع الأنشوطة فى نهايته حول عنقه ؛ فقد اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول : يبدو لى أنك تجيد عملك أيها الوغد ..

وفجأة ارتفع صوت أنثوى ساخر ، يقول فى صرامة :
— حذار أن تمس هذا الحبل ، وإلّا جحظت عيناك أنت أيها الوغد .
استدار رجال (چان بول) فى دهشة وذعر ، وامتدت أيديهم إلى أسلحتهم ، ولكنها لم تلبث أن تسمّرت فى مكانها ، حينما طالعتهم فوّهة المسدّس الضخم الذى تصوّبه إليهم (منى) ، وهى تقول فى برود :
— لقد ربح زميلى العزيز الرهان أيها الأوغاد .

* * *

انتهى (أدهم) من إحكام وثاق آخر الرجال الأربعة ، وتكميم فمه ، ثم التفت إلى (منى) هاتفًا فى إعجاب :
— لقد كنت رائعة هذه المرّة يا عزيزتى .. لقد أنقذت حياتى .
تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغمغم فى صوت خافت :
— إنها محاولة لرد بعض خدماتك فى هذا الشأن يا زميلى العزيز .
وربّت (أدهم) على شعرها فى حنان ، وسألها فى اهتمام :

— ولكن كيف نجوت من انفجار الهليوكوبتر ؟
ضحكت فى مرح ، وهى تقول :
— لقد قلّدت أسلوبك هذه المرّة ، وقفزت من الهليوكوبتر إلى قمم الأشجار قبل أن يرتطم بها الصاروخ بلحظة واحدة .
ثم تضرّج وجهها بحمرة الخجل مرّة أخرى ، وهى تستطرد :
— لعلها غريزة البقاء .
ابتسم (أدهم) فى حنان ، وهو يقول :
— بل هى براعتك يا عزيزتى .
خفضت عينيها فى حياء ، ثم سألته فى اهتمام :
— والآن ماذا علينا أن نفعل ؟
هزّ كتفيه ، وهو يجيبها فى هدوء :
— إننا لا نملك الخيار يا عزيزتى ، فلابدّ من مهاجمة (جان بول) ، قبل أن ينتبه إلى غياب رجاله .
غمغمت فى قلق وحَيْرة :
— ولكن هناك أكثر من عشرين رجلًا فى الحصن .
ابتسم (أدهم) وهو يقول فى ثقة وهدوء :
— اطمئنى يا عزيزتى .. إن لدىَّ خطّة ..

* * *

١١ — فى وكر الذئب ..

مالت الشمس إلى الغروب حينما فوجئ حرّاس الحصن بأحد زملائهم يعدُو نحو البوّابة ، وهو يلوّح بذراعيه صائحًا :
— لقد فرّ الأسير .. باغتنا بهجوم مفاجئ بعد أن تخلّص من قيوده ونجح فى الفرار
أسرع الحرّاس يفتحون البوّابة لزميلهم ، الذى تغطى وجهه بالدماء ، وهم يسألونه فى توتُّر :
— كيف فعل ذلك ؟ .. وأين فرّ ؟
بدا الرجل وكأنه يكاد يسقط من فرط الإعياء ، وهو يشير إلى اتجاه الغرب ، مغمغمًا :
— لقد انطلق فى هذا الاتجاه .
أسرع خمسة من الحرّاس بمدافعهم الرشّاشة إلى الناحية التى أشار إليها زميلهم ، فى حين تعاون اثنان على حمله من تحت إبطيه ، وأحدهما يغمغم فى توتُّر :
— يا لك من تعس !! لن يغفر لك مسيو (جان) ذلك أبدًا .. ولكن دعنا نضمّد جراح وجهك أولًا .

لوّح الحارس المصاب بكفه فى ضعف ، وهو يغمغم فى وهن :
— لا .. ليس الآن .. لابدّ لى من مقابلة مسيو (جان) أولًا .. لقد حمّلنى الأسير الهارب رسالة إليه .
هتف أحد الحارسين فى دهشة :
— حمّلك رسالة إليه ؟! .. يا له من رجل !!
صاح المصاب فى ضعف متزايد :
— اذهبا بى إلى مسيو (جان) بسرعة ، قبل أن يبتعد الأسير .
أسرع به الحارسان إلى حجرة (جان) ، الذى لم يكد يتطلّع إلى وجهه المغطى بالدماء ، حتى هتف فى دهشة :
— ماذا حدث يا رجل ؟ .. ماذا أصابك ؟
غمغم الحارس فى توتر :
— لقد فرّ الأسير يا مسيو (جان) .
اتسعت عينا (جان) ، وهو يهتف فى استنكار :
— هرب ؟! .. يا لكم من أغبياء !! كيف يفرّ منكم وهو مقيّد الذراعين خلف ظهره ؟ كيف يتغلّب على أربعة رجال مسلحين وهو أعزل ؟

غمغم الجريح فى لهجة بدت وكأنها شديدة السخرية :
— إنه يدافع عن قضية عادلة يا مسيو (جان) ، وليس مجرد مرتزق مثلنا .
اتسعت عينا (جان) ، وتراجع وهو يهتف فى دهشة :
— من أنت يا رجل ؟ .. إنك لست أحد رجالى !!
لم يكد (جان بول) ينطق آخر حروف كلماته ، حتى دبَّ نشاط عجيب فى جسد الحارس الجريح ، فغاص مرفقه الأيسر فى معدة أحد الحارسين المرافقين له ، ودار على عقبيه ليلكم الآخر لكمة ساحقة ، ألقته خارج الحجرة ، ثم استدار ليهشّم أنف الحارس الأول بلكمة كالقنبلة ، ويلقيه خلف رفيقه ، وأغلق الباب فى حركة سريعة ، ثم التفت نحو (جان بول) ، وابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى هدوء :
— ها نحن أولاء وحدنا أخيرًا يا وغد الأوغاد .. هل خدعتك تنكرى البدائى ؟
إننى الرجل الذى حضر ليقتلك أيها الوغد .. إننى (أدهم صبرى) .

* * *

تراجع (چان بول) فى مزيج من الذهول والذعر .. ثم هتف فى عصبية :

ـ ولكن هذا مستحيل .. أنت لست بشرًا .. أنت شيطان .. شيطان .

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـ لاتتحدَّث عن الشياطين هكذا أيها الوغد ، فسيكونون رفاقك فى الجحيم الذى ستذهب إليه عمَّا قريب .

احتقن وجه (چان بول) غضبًا ، واتخذ وقفة قتالية مألوفة ، يجيدها لاعبو رياضة (الكاراتيه) ، وقال فى حدَّة :

ـ عليك أن تهزمنى أوَّلًا أيها الشيطان .

تألَّقت عينا (أدهم) فى جذل ، وهو يقول :

ـ سيسعدنى أن أفعل ذلك أيها الوغد .

واتخذ تلك الوقفة القتالية بدوره ، مستطردًا فى سخرية :

ـ دورك أيها الوغد .

أطلق (چان بول) صرخة قويَّة ، وانقضَّ على (أدهم) كالعاصفة ، وأراد أن يهوى بحافة يده على عنقه فى ضربة قاتلة ، إلَّا أن (أدهم) تفاداها فى براعة ، وقفز إلى الخلف ، وهو يقول متهكِّمًا :

ـ يبدو أنك تفتقر إلى المران أيها الوغد ، فأنت ثقيل كالثور .

عاد (چان بول) يطلق صرخته القوية ، وهوى على رأس (أدهم) بضربة أخرى ، إلَّا أن (أدهم) تلقَّاها على ساعده فى بساطة ، وأطلق قبضته الفولاذية فى وجه (چان) ، فأصاب فكه ، وألقى به إلى ركن حجرته ..

نهض (چان) محنقًا ساخطًا ، وفكه محمر من أثر لكمة (أدهم) ، الذى قال فى سخرية :

ـ هيَّا أيها الوغد .. لاتستسلم بهذه السرعة .

انقضَّ (چان بول) على (أدهم) للمرة الثالثة ، ولكن بطلنا مال إلى اليسار متفاديًا لكمته ، ثم لكمه فى معدته لكمة صاعقة ، جعلت (چان) يشهق فى قوة ، ويميل إلى الأمام منثنيًا على نفسه ، فأعاده (أدهم) إلى وضعه الأول بلكمة قوية ، ثم أعقبها بأخرى ألقته فوق مكتبه ، وقال فى هدوء :

ـ هيَّا ياملك الأوغاد .. اعترف بهزيمتك .

وفجأة التقط (چان بول) من خلف جهاز اللاسلكى ، الموضوع فوق مكتبه ، مسدَّسًا ، واستدار إلى حيث يقف (أدهم) ، وصرخ فى غضب هادر :



انقضَّ (چان بول) على (أدهم) للمرة الثالثة ، ولكن بطلنا مال إلى اليسار متفاديًا لكمته ، ثم لكمه فى معدته لكمة صاعقة ..

ـ إنها هزيمتك أنت أيها الشيطان .

وأطلق رصاصة مسدَّسه بلا تردُّد ..

* * *

كان (چان بول) يفخر دومًا بأنه لم يخطئ هدفًا فى حياته كلها ، مهما بلغ هذا الهدف ، ومهما بلغت سرعته ..

ولقد كان هذا صحيحًا ..

والحق يقال إنه كان راميًا بارعًا ، لايشق له غبار ، على الرغم من حقارته ، ودناءة نفسه ..

ويمكن أن نؤكد أنه حتى لحظة كتابة هذه السطور ، لم يخطئ هدفًا فى حياته قط ..

فقد انتهت حياته قبل أن تنطلق رصاصته بجزء من الثانية ..

لقد تحرَّك (أدهم صبرى) بسرعة استجابته المذهلة كالعادة ، بمجرَّد أن لمح المسدَّس فى قبضة (چان بول) ، فمال جانبًا ، وانتزع مسدَّسه من سترة الحارس التى يرتديها ، وأطلق منه رصاصة واحدة ..

رصاصة كانت تعرف هدفها جيِّدًا ..

رصاصة اخترقت رأس (چان) وقتلته فى الحال ، فانقبضت أصابعه على مسدَّسه ، وانطلقت رصاصته وهو يسقط ، وغاصت فى جدار حجرته ..

وأغلق (أدهم) عينيه فى ارتياح ..

لقد كان يكره هذه المهمة منذ البداية ؛ لأنها تتعلّق بقتل رجل ، ولكنه لم يرفضها من أجل مصر ..

ولقد عاونه (چان بول) على إتمام مهمته ، دون أن يشعر بالألم ..

عاونه حينما حاول هو قتله ..

لقد تحوّل الأمر حينئذ إلى دفاع عن النفس ، ولقد كان (أدهم) يفضّل ذلك ..

وفجأة انتبه (أدهم) إلى تلك الضجة التى سادت المكان ، إثر انطلاق رصاصته ورصاصة (چان بول) .. وانتبه إلى ضربات رجال هذا الأخير على الباب المغلق ، وتنبّه إلى أن المهمّة لم تنته بعد ..

فما زال أمامه الخروج من هذا الجحيم ظافرًا ..

ولم يكن ذلك سهلًا ..

* * *



١٢ ـــ الهروب من الجحيم ..

كان من الواضح أن باب حجرة (چان) الخشبى لن يحتمل ضربات رجاله طويلًا ، وكان على (أدهم) أن يجد وسيلة للفرار فى سرعة ، فأسرع نحو نافذة الحجرة ، وتطلّع منها بحثًا عن مخرج ، وجذبت انتباهه تلك النافذة المجاورة لها ، والتى تبعد عنها ثلاثة أمتار تقريبًا ، فدسّ مسدّسه فى حزامه ، وقفز إلى حافة نافذة (چان) ، واستعدّ للقفز إلى النافذة المجاورة ..

وفجأة اقتحم رجال (چان) الحجرة ، وتهاوى الباب الخشبى تحت وطأة ضرباتهم القوية ، ورأى (أدهم) فوّهات المدافع الرشاشة تُصَوَّب إليه ، فأسرع ينتزع مسدّسه من حزامه فى سرعة ، ويطلق النار ..

أصابت رصاصاته الثلاث الأولى أيدى أقرب ثلاثة رجال إليه ، وحينما حاول أن يطلق الرصاصة الرابعة كشف أن مسدّسه لا يحمل رصاصة رابعة ..

وانتبه رجال (چان) إلى نفاد ذخيرته ، فأطلقوا رصاصات

مدافعهم الرشاشة نحوه فى ثقة ، وعبرت رصاصاتهم النافذة ، ولكنها لم تستقر فى جسد (أدهم) أبدًا ..

إنه لم يكد يكشف نفاد ذخيرته حتى ألقى مسدّسه أرضًا ، واستجمع قواه ليقفز من نافذة حجرة (چان) إلى النافذة المجاورة ..

وعبر جسده الأمتار الثلاثة فى خفة ورشاقة ، واستقرّ على حافة النافذة المجاورة ، وقبل أن يقفز داخلها ، فوجئ بفوّهة مدفع رشّاش فى وجهه ، وسمع صوتًا آمرًا صارمًا يقول فى لهجة جافّة :

ـــ لقد انتهت رحلتك أيها الشيطان .. إنها محطتك الأخيرة ..

* * *

من السهل أن يتكلّم الإنسان ، فينذر ويتوعّد فى صرامة ، ولكن من العسير عليه أن ينفذ وعيده ..

هذا ما شعر به ذلك الرجل الذى كان يصوّب مدفعه الرشاش إلى وجه (أدهم) ، حينما تحرّكت قدم (أدهم) فى سرعة مذهلة ، فركلت المدفع الرشّاش ، وأطاحت به بعيدًا ، ولكنه لم يلبث أن نسى كل الحكم والمواعظ عندما هوت قبضة (أدهم) على فكه ، وحطمته تحطيمًا ..

وقفز (أدهم) داخل الحجرة ووقف يتطلّع إليها فى دهشة ..

لقد كانت حجرة التوجيه الإلكترونى ، التى كان يعتمد عليها (چان بول) للدفاع عن حصنه ضد الهجمات الجويّة ..

وفجأة برزت فكرة عجيبة فى ذهن (أدهم) ، فأخذ يفحص الأجهزة فى اهتمام ، متجاهلًا ضربات رجال (چان) ، التى انتقلت إلى الحجرة التى يقف فيها ، ثم غمغم وكأنه قد حسم أمرًا ما فى أعماقه :

ـــ نعم .. إنها الوسيلة الوحيدة .

وبضغطة صغيرة على زرّ أصفر اللون ، انطلق صاروخ مضاد للطائرات من سطح الحصن ، وأخذ (أدهم) يتابعه على شاشة الرادار فى اهتمام ، وهو يبتعد دون هدف ، ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ والآن تبدأ الألعاب النارية أيها السادة ..

* * *

ارتجف قلب (منى) حينما شاهدت (أدهم) وهو يقفز من نافذة حجرة (چان) إلى النافذة الأخرى ، وأرادت أن تسرع إليه ، وتعاونه على الفرار ، إلا أنها فضلت إطاعة أوامره

بعدم مغادرة مكمنها ، خشية أن تتسبَّب مخالفتها للأوامر فى زيادة الأمر سوءًا ..

وفجأة رأت الصاروخ ينطلق من فوق السطح ، وأدهشها ذلك دهشة بالغة ، فلم تكن هناك طائرة واحدة تحلّق فى الأجواء ، فغمغمت فى مزيج من القلق والحَيْرة :

ــ ترى ماذا يعنون بإطلاق هذا الصاروخ ؟

وظلّت تتابع الصاروخ ببصرها وهو يبتعد ويبتعد ، ثم عادت تغمغم :

ــ فليقطع ذراعى إن لم يكن (أدهم صبرى) وراء ذلك .. إنه يهوى تلك المبادرات العجيبة .

* * *

تابع (أدهم) مسار الصاروخ على شاشة الـرادار لحظات ، ثم أخذ يضغط أزرار جهاز التحكم الإليكترونى فى سرعة ومهارة ، وهو يغمغم :

ــ عد إلى منزلك أيها الابن الضال .

لم يكد يتم عبارته حتى اقتحم رجال (چان) هذه الحجرة أيضًا ، وقد بلغت ثورتهم مبلغها ، بعد كشفهم مصرع زعيمهم ، الذى يدفع رواتبهم فى سخاء ..

وقرّروا قتل (أدهم) بلا رحمة ..

كان من الممكن أن ينجحوا فى تنفيذ قرارهم هذا ، لولا أن قفز (أدهم) عبر النافذة فى حركة مفاجئة سريعة ، ودار بجسده دورة رأسية رشيقة ، قبل أن يستقر على قدميه ، ويعدو فى اتجاه الأدغال ..

واندفع رجال (چان بول) إلى النافذة ، وأخذوا يطلقون رصاصاتهم نحو (أدهم) ، الذى انطلق يعدو فى سرعة ، متّخذًا مسارًا متعرّجًا ، متفاديًا الرصاصات التى انهمرت حوله كالمطر ..

وصوَّب أحد رجال (چان بول) مدفعه إلى ظهر (أدهم) ، وسدَّده فى هدوء وإحكام ، وتراقصت سبابته على الزناد ، حينما صاح رجل آخر فى رعب :

ــ يا للشيطان !! .. انظروا !!

رفع الجميع عيونهم إلى حيث أشار زميلهم ، واتسعت تلك العيون فى رعب شديد ، فقد كان الصاروخ قد استدار ، واندفع نحوهم فى سرعة ..

وهذا ما فعله (أدهم) بأجهزة التوجيه ..

وتصارع رجال (چان بول) لحظة ، وكل منهم يحاول الفرار من مصيره المحتوم ، ولكن الصاروخ سبقهم إلى الهدف ..

وانفجر حصن (چان بول) فى دوىّ ارتجت له أركان أدغال (الكونغو) ، وأضيئت السماء بالنيران التى اشتعلت فيه فى قوّة وشدّة ..

وانتهت إلى الأبد عملية الأدغال ..

* * *



١٣ ــ الختام ..

انهمك مدير مكتب التصاريح السياحية فى (كيسنجانى) فى مراجعة بعض أوراق مكتبه ، واستغرقه ذلك العمل حتى أنه لم يشعر بالرجل والفتاة ، اللذين دلفا إلى حجرته فى هدوء ، حتى لمح بطرف عينه الرجل يقف أمام مكتبه ، وسمعه يقول فى لهجة بالغة السخرية :

ــ هل تسمح لى باستعادة التعهد الذى كتبته يا سيّدى ؟

انتفض جسد المدير فى قوة ، ورفع عينيه يحدّق فى وجهى (أدهم) و (منى) فى ذهول ، ثم لم يلبث أن غمغم فى ارتباك وتلعثم :

ــ هل .. هل عدتما ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول فى خبث :

ــ بالطبع يا سيّدى .. لقد عدنا .. لِمَ تحدّق فى وجهينا بكل هذه الدهشة ؟

ألم تكن تتوقَّع عودتنا ؟
ازداد ارتباك الرجل وتلعثمه ، وهو يقول :
ــ تسرنى عودتكما بالطبع ، ولكننى كنت أخشى من قسوة الأدغال ورجال (الوميبزى) و ...
قاطعه (أدهم) فى هدوء ساخر :
ــ لقد كانت الأدغال رائعة يا سيِّدى ، وحيواناتها المفترسة بدت لنا شديدة الوداعة ، أما عن (الوميبزى) فقد كانوا لطفاء للغاية ، ولقد دعونا لزيارتهم فى رحلتنا القادمة .
اتسعت عينا الرجل فى دهشة ، وهو يستمع إلى (أدهم) ، ثم غمغم فى ذهول :
ــ (الوميبزى) كانوا لطفاء ؟!
هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول فى سخرية :
ــ بالطبع يا سيِّدى .. إنهم ألطف قوم صادفناهم فى رحلتنا .
ثم أردف فى خبث :
ــ إنهم على الأقل لا يطعنونك فى ظهرك مطلقًا .
شحب وجه الرجل وقد فهم مغزى عبارة (أدهم) ، الذى عاد يقول فى هدوء ساخر :

ــ التعهد من فضلك ياسيِّدى .
بحث الرجل بأصابع مرتجفة عن التعهد الذى كتبه (أدهم) ، وناوله إياه ، مغمغمًا فى ارتباك :
ــ يسعدنى أنكما عدتما سالمين .
عاد (أدهم) يهز كتفيه ، قائلًا فى سخرية :
ــ إنه غموض الأدغال يا سيِّدى ، فها نحن أولاء نذهب فى رحلة سلمية ، ولا نحمل أية أسلحة ، ثم نعود سالمين ، فى حين يقيم (چان بول) حصنًا وسط الأدغال ، ثم يلقى مصرعه .
اتسعت عينا الرجل حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وهو يهتف فى ذُعر :
ــ يلقى مصرعه ؟!.. هل مات مسيو (چان بول) ؟
مطَّ (أدهم) شفتيه ، مغمغمًا فى أسف مفتعل :
ــ نعم للأسف يا سيِّدى .. لقد انفجر حصنه فى ظروف غامضة .
انكمش الرجل فى مقعده ، وشحب وجهه وهو يغمغم فى صوت مختنق :
ــ ومتى حدث ذلك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ساخر :
ــ مساء أول أمس ، ولكن يبدو أن الأخبار تنتقل فى بطء شديد عبر الأدغال .
ــ بدا الرجل وكأنما تقدَّم به العمر عشرات السنين ، وهو يغمغم فى انكسار :
ــ هذا صحيح .
ابتسم (أدهم) فى خبث ، وهو يقول :
ــ يقولون إن مصرعه المفاجئ هذا سيسبب أزمة اقتصادية لعديد من المسئولين هنا ، فقد كان يدفع لهم رواتب شهرية ، فى مقابل حمايته .
غمغم الرجل وهو يزداد شحوبًا ، وانكماشًا فى مقعده :
ــ ربَّما .
مزَّق (أدهم) التعهد فى هدوء ، ووضعه فى منفضة السجائر على مكتب الرجل ، وهو يقول فى هدوء :
ــ لا تجعل هذا يحزنك يا سيِّدى ، فحكومتكم النشطة لن تلبث أن تضع يدها على أموال كل من كان يعاون (چان بول) .. إنها النهاية العادلة .
ثم غادر المكتب مع (منى) ، وترك الرجل يكاد يتلاشى فى مقعده ذلًّا وانكسارًا ..

* * *

التفتت (منى) إلى (أدهم) ، الذى يجلس إلى جوارها فى الطائرة مغمض العينين ، وغمغمت فى صوت خافت :
ــ هل أنت نائم ؟
أجابها فى هدوء ، دون أن يفتح عينيه :
ــ لا .. ولكننى أنتظر وصولنا إلى القاهرة لأستغرق فى النوم .
ابتسمت فى حنان ، وهى تغمغم :
ــ لقد كانت عملية مرهقة .. أليس كذلك ؟
ابتسم وهو يغمغم بدوره :
ــ ولكنها لم تكن أصعب عملية واجهناها معًا .
ضحكت وهى تقول :
ــ ولكنها كانت أول مرَّة نصارع وحوش مملكة الحيوان والإنسان فى آن واحد .
وعادت تضحك قبل أن تستطرد :
ــ أراهنك أن علماء الأجناس سيحارون طويلًا فى المستقبل ، حينما يحاولون البحث عن سر صنع ذلك التمثال الصَّلصالىّ فى قرية (الوميبزى) ، الذى يمثِّل رجلًا يحمل أسدًا مقيَّدًا على كتفيه .

عاد يبتسم وهو يغمغم ، دون أن يفتح عينيه :

ــ ربما لا يحتفظ به (الوميزى) حتى ذلك الحين .

ضحكت مرة أخرى ، وهى تقول :

ــ هل تراهن ؟

ثم هتفت فى حماس :

ــ ولكن هناك شيئًا لم أفهمه بعد .

سألها فى هدوء :

ــ ما هو ؟

قالت فى اهتمام :

ــ آلة التصوير السينمائية الصغيرة التى كنت تحملها فى بداية رحلتنا ، ماذا كانت فى الحقيقة ، قبل أن تغوص فى أعماق نهر (الكونغو) .

ابتسم وهو يقول :

ــ خمّنى .

قالت فى حماس :

ــ أراهنك أنها كانت قنبلة موقوتة ، كنت تنوى تفجيرها فى حصن (چان بول) .. أليس كذلك ؟

غمغم فى هدوء :

ــ أخطأت التخمين يا عزيزتى .. لقد كانت مجرّد آلة تصوير عادية .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، وهى تقول :

ــ آلة تصوير عاديّة ؟!.. ولِمَ كنت تحملها بكل هذا الاهتمام إذن طوال الوقت ؟

ابتسم وهو يقول فى هدوء :

ــ كنت قد وعدت ذلك الخائن فى مكتب التصاريح بإعطائه نسخة من الفيلم .. أليس كذلك ؟

اتسعت عيناها فى دهشة مرّة أخرى ، ثم ضحكت وهى تغمغم فى إعجاب :

ــ يا لك من رجل !!

ربّت على كفها فى حنان ، وهو يقول :

ــ دعك من كل هذا يا عزيزتى .. لقد انتهت المهمة هذه المرّة .

تنهّدت فى ارتياح ، وأسندت رأسها إلى مقعدها فى استرخاء ، وغمغمت وهى تغلق عينيها بدورها :

ــ نعم يا زميلى العزيز .. لقد انتهت المهمّة هذه المرّة .. انتهت عملية الأدغال ..

* * *

[تمت بحمد الله]